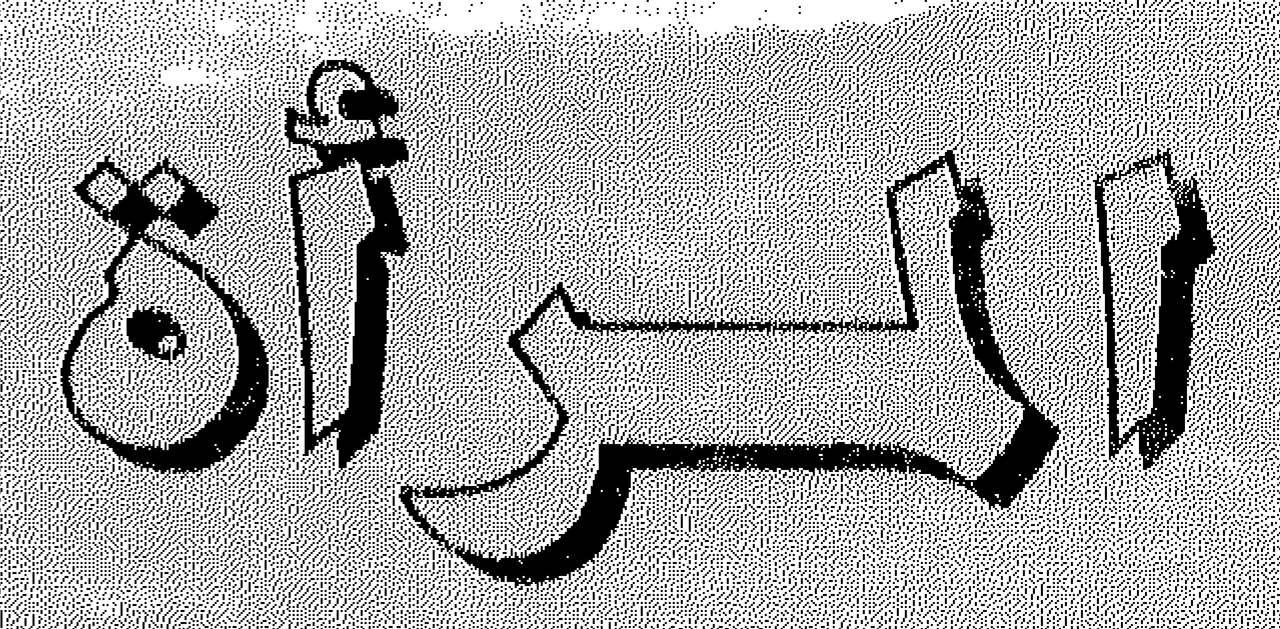
دار الثقافة



في الكنيسة والمجتمع



دكتور القس صموئيل حبيب

المرأة
فى الكنيسة والمجتمع

دكتور القس صموئيل حبيب



طبعة ثانية

المرأة في الكنيسة والمجتمع

صدر عن دار الثقافة - ص. ب. ١٢٩٨ - القاهرة

١ / ٤٥٧ ط ٢ / ٤ - ٩ / ٨٨ - ٩٤

رقم الايداع بدار الكتب : ٤٦٢٨ / ١٩٩٤

دولى: ٢ - ٢٢٢ - ٢١٣ - ٩٧٧

طبع في سيويرس

تمهيد

لعل أول سؤال يتبادر إلى ذهن القارىء عندما يمسك بيده هذا الكتاب هو : لماذا نقدم كتابا خاصا عن المرأة ؟ ولماذا نفرد بحثا خاصا عنها وليس عن الرجل ؟ ولعل هذا السؤال يثير العديد من الأسئلة المحيطة به : متى انبرت قضية المرأة ؟ ولماذا نتحدث عن حقوقها ؟ ولماذا أصبح هذا الموضوع ذا أهمية خاصة فى المجتمع المعاصر ؟

لقد أثار التطور الحضارى « قضية المرأة » ، وأتى بها على مستوى الدراسة . إن بعث قضية المرأة ، يعود إلى مصادر عديدة ، فى مجتمعنا الإنسانى .

فمن هى المرأة ؟ وما علاقتها بالرجل ؟ وما هو مكانها فى الأسرة أو المجتمع أو كليهما ؟ هل دور المرأة هو فى البيت فقط أم فى المجتمع ؟ هل يجوز للمرأة ان تدخل الى سلك القضاء والسياسة ، والحرف والمهارات الانسانية كالطب والهندسة والصيدلة ، الى غير ذلك ؟ وما هى المناصب التى يجوز للمرأة أن تحصل عليها ؟

إلاّ أن الأمر يتسع لرقعة فكرية أوسع من ذلك . فإن « الأنوثة » مثار أحاديث عديدة ، وتساؤلات لا حصر لها . فمن هى الأنثى ؟ وهل هى طاهرة ؟ وما هو وضعها الروحى والإدارى كحائض أو حامل ؟ وما هو مكانها الاجتماعى ؟ هل تظهر فى المجتمع وتتعامل مع الأخرين ؟ هل تتعلم وتعلم ؟ هل تتحرر أم تظل تابعة ؟

بل إن القضية اتّسعت ، وزادت المشكلة ، عندما اثيرت الأسئلة عن دور المرأة فى الكنيسة : فى العبادة ، والخدمة ، سواء فى الممارسة أو العبادة.وكان من الطبيعى أن تناقش القضية على كافة المستويات .

إن هذه الاسئلة ، هى قليل من كثير ، مما يشغل الفكر فى المجتمع المعاصر ويدفعنا للكتابة عنه .

فى ضوء هذه الاسئلة ، كان لابد من دراسة متعمقة لكلمة الله فى العهدين القديم والجديد ، ولتراث الكنيسة عبر عشرين قرنا ، لنرى من خلال هذه الدراسات الطريق الذى يرسمه لنا روح الله للمرأة ودورها الحالى .

يضاف إلى ذلك أن المرأة نصف المجتمع .

إننا لا نقدر أن نهمل نصف الكيان الانسانى . إن اهتمامنا بالمرأة ، هو اهتمام بانسان خلقه الله ، ومنحه صورته ، وأعطاه حقوقا وحمله بمسئوليات لذلك ، هل يتفق إهمال الكنيسة أو المجتمع للمرأة مع تعليم كلمة الله ؟

وقد بدا واضحا ، خلال الحقب الأخيرة ، أن المرأة بدأت تأخذ دورها ومكانها فى المجتمع ، على مستويات متعددة ، فهناك المرأة وزيرة ، أو مدرّسة ، أو عاملة أو سائقة ، أو تاجرة ، أو امينة خزينة ، أو ممرضة ، إلى غير ذلك .

لقد نجحت المرأة فى مواقع عديدة ، كان البعض يظنون أنها ليست مكان المرأة : كالإدارة مثلا . واجهت المرأة مشكلات عديدة ، منها : أن المرأة غير مقبولة من المجتمع العام فى وظائف الرئاسة ، فإن بعض الرجال لا يقبلون رئاسة المرأة ، بل إن رئاسة المرأة للنساء لها مالها من مشكلات . يضاف إلى ذلك أن المرأة معرضة للاتهامات الخلقية التى تطلق عليها ممن يحاولون الانتقاص من دورها ، أو الاساءة اليها لأسباب شخصية . فإن أسهل السبل للإساءة إلى شخص ما ، هى الاتجاه بالاتهامات للنيل منه . والاتهامات ، متى وجهت إلى امرأة ، كان لها أثر سيء ومرير على نفسيتها ، وربما على سمعتها . والناس عادة يهوون الاستماع الى المشكلات والاتهامات .

إلا أن مشكلة من المشكلات التى تواجه المرأة ، هى صراعها بين تربية ابنائها وعملها . يعيش هذا الصراع مع المرأة ، بل مع افراد الأسرة كلها ، ايام الحمل ثم الولادة ثم تربية الطفل ، حتي ينمو راشدا . وتثار تساؤلات عديدة عن مكان المرأة وعلاقة الزوج بمهام البيت . والاطفال ، خلال هذه المرحلة . ولما كان البيت يمثل امتدادا سيكلوجيا لشخصية المرأة ، فهى تعطى أهمية خاصة لبيتها ، فى وقت تحاول فيه أن تكون ناجحة وموفّقة فى عملها .

من هذا ظهرت قضية المرأة بارزة فى المجتمع المعاصر . فإن قضية المرأة العاملة ودورها فى المجتمع ، وما يثير ذلك من قضايا فكرية ، كاستقلالها الاقتصادى ، وبروز دورها الحضارى ، أصبحت قضية شامخة خلال هذه الأيام .

ان دراسة قضية المرأة ، هى دراسة لدورها ومكانها ، ليستقر التفكير بشأن دورها ، مما يعاون على رفاهية الأسرة ، وثبات رسالتها وامتدادها الى الكنيسة والمجتمع . إن الذكر والأنثى ، وجهان لعملة واحدة . وهما وحدة الوجود الانسانى . فإنه رغم اختلافهما فى النوع ، فلا انفصال بينهما ، ولا فكاك لواحد عن الآخر . إن كل نوع من الاثنين لا يجد هويته وذاتيته دون النوع الآخر .

إن الدعوة للمساواة بين الذكر والانثى ، دعوة للمساواة فى الفرص والحقوق والمسئوليات ، إنها تهدف أساسا إلى التكامل والاندماج ، ليتحقق هذا الكيان الإنسانى ، فى مجتمع خلقه الله . وإن كان البعض يسرف فى مطاليب « المساواة » ، إلا أن الاتجاه يلزم أن يكون التكامل والاندماج ، وتحقيق اهداف المجتمع والكنيسة .

لذا يلزم أن يكون واضحا من البداية ، أننا لا نتحدث عن المرأة لكى ننصرها على الرجل . فكل منهما إنسان له دوره فى خليقة الله . إننا لا نشجع بناء كيان على حساب كيان ، بل ندرس كيف يكون الرجل والمرأة ، جزءا من بناء الله ، فى عالم الله ، وكيف يقف الاثنان معا فى طاعة الله .

إن الكاتب هنا يريد أن ينحصر فى هذا الكتاب ، فى اطار « دور المرأة فى مفهوم مسيحى » . كما ان دراسة عن « المرأة » . لكى تكون كاملة ، لابد ان تتطرق لدراسة بعض الفروق الجنسية ، وتحليل للأنوثة فى مقابل الذكورة ، ودراسة للأمومة . كما أن أى دراسة للمرأة لا بد لها أن تتطرق للمرأة العاملة ، وعلاقة ذلك باستقلالها الاقتصادى وحياتها الزوجية ، وعنايتها بالأبناء . إلا ان الحدود التى رسمناها لأ نفسنا فى هذه الدراسة سوف لا تتسع لكل ذلك ، إلا فى حدود دراسة مقام المرأة من مفهوم مسيحى بقصد دراسة المبادىء والقيم ، دون الدخول فى تفاصيل الخبرات ومشكلات الحياة اليومية .

لذا ، كان من الطبيعى ان تتعرض الدراسة للمفاهيم التى تنبع من كلمة الله ، عن المرأة ، والتى نستعرضها ، بدراسة مسببة ، وسندرك منها الكثير من القيم الأساسية ، التى نبنى عليها الفكر عن مقام المرأة ودورها سواء فى الكنيسة أو فى المجتمع .

وقد رأينا أن نفرد فصلا خاصا عن دراسة المرأة عبر التاريخ المقدس فى كل مرحلة منه . ندرسه أولا فى العهد القديم ، ثم ندرسه أيام السيد المسيح ، مقتبسين من كلماته وحياته ، ما يعطينا الضوء على المفاهيم الأساسية التى دعا إليها . ثم ندرس المرأة فى العهد الجديد ، وقد أفردنا فصلا خاصا عن مفاهيم الرسول بولس بشأن المرأة ، ثم ندخل إلى حياة الكنيسة .

ان القصد من هذا الشرح هو أن نرى صورة المرأة ، وحياتها ودورها فى المراحل المختلفة من التاريخ المقدس لذلك وضعنا فى الفصل الأخير رأيا شموليا عن « المرأة » ودورها اليوم ، فى ضوء تعليم كلمة الله .

إننا بهذه الطريقة ، ندرس كلمة الله بأكثر عمق ، ونكتشف دور الله فى الخليقة وكيف تعامل مع المرأة من خلال الأحداث .

فى هذا الكتاب

الموضـــــوع صفحة

أولاً

قضيــة المــــرأة

للمرأة قصة طويلة عبر تاريخ البشرية . فإن الدراسة عن المرأة ، لا يمكن أن تهمل تراثا عاش عبر أجيال طويلة ، فيه ما هو هدّام ، وفيه ما هو بنّاء ، إننا نقيمّ الماضى ، بصوابه وخطئه .

إن هذا التراث يحمل فى أعماقه أسبابا ودوافع تعيش عصرنا الحاضر ، وتؤثر عليه . ولو أدركنا هذا التراث السحيق ، فإننا – قادرون – فى ضوء دراسة مستفيضة لتعليم الكتاب المقدس ، أن نكتشف الرؤيا التى تعاوننا على فهم الدور الحاضر للمرأة .

المرأة عبر التاريخ المصرى

فى عصور ما قبل التاريخ ، كانت المرأة تعمل فى الزراعة عندما كان الرجال يذهبون للصيد ، وكان الرجل مع المرأة يذهبان للعمل . يظن أن المرأة أول من مارس العمل الحرفى : كالغزل والنسيج ، وصُنع الآنية الفخارية ، بل هناك من يذهب إلى القول بأن هذه الحرف فى الأصل اكتشافات نسائية .

إننا لا نعرف الكثير عن تاريخ ما قبل التاريخ ، إلاّ ما وصل إلينا . إلاّ أن المراحل المؤرخة ترينا أن المرأة اجتازت مراحل عديدة : مرة نراها امرأة ناهية ومرة نراها تباع بيع الرقيق فى حالات الأزمات . كان الرجل دائما هو الذى ضيق الخناق على المرأة وحدد نشاطها .

كان للمرأة فى العصر الفرعونى دور مناسب . فإن المرأة فى فترات متعددة وصلت إلى السلطة . فى الدولة الفرعونية القديمة كان للمرأة حقوق تعادل – تقريبا – حقوق الرجل . بما فى ذلك حقوق الميراث . كان تعدد الزوجات نادر الحدوث ، وكان الطلاق من الأمور المرذولة . فى الأُسرة الخامسة الفرعونية طرأ تعديل ، حيث أُبيح تعدد الزوجات ، وبدأ خضوع المرأة لأكبر أبنائها

الذكور . فى العصور الفرعونية مارست المرأة كل الأدوار : ملكة ، كاهنة ، راقصة ، إلى غير ذلك . عندما مارست المرأة الكهانة ، اشتركت فى الترتيل ، والتوقيع على الالآت الموسيقية والرقص الدينى .

فى العصر الفرعونى لبست المرأة القلائد والأساور والخلاخيل والأقراط ، وتجملت بالكحل ، واستخدمت الدهون والعطور ، ولبست الباروكة (الشعر المستعار) ، تعلمت القراءة ، وتذوقت الأدب ، واشتركت فى القضاء وشئون الوزارة . شاركت نفرتيتى أخناتون حياة الفلسفة والدين . لم تكن المرأة تخجل بإعلان حبها أمام الناس . كانت تزور معارفها . وكان لها حق طلب الطلاق إن أساء زوجها معاملتها كما اشتهر رمسيس الثالث بحفظ كرامة النساء .

كان الزواج بواحدة ، ماعدا للملوك والامراء والمترفين . دعوا للزواج المبكر لحفظ المرأة من الدنس . استخدموا وسائل منع الحمل ، مارست المرأة صناعة الغزل والنسيج ، وصناعة السجاجيد ، كما كانت ترافق زوجها فى رحلات الصيد . ثم مارست السباحة والألعاب البهلوانية .

تطورت الحضارة فى العصر الرومانى . عندما اختلطت العلوم اليونانية والحضارة اليونانية مع الحضارة الفرعونية . ولم يكن للمرأة فى ذلك الوقت دور مناسب ، فى الحضارة اليونانية ، مما أثر على دور المرأة المصرية .

ثم جاء العصر القبطى ، وظهر الاتجاه النُّسكى ، تلاه العصر الإسلامى . وفى العصر العثمانى ، قُيِّدت حرية المرأة ، وحقوقُها . ثم دخلت الحضارة الفرنسية التى اختلطت وتفاعلت مع الحضارات السابقة .

وفى عصر إسماعيل ، يذكر مؤرخون أن مدارس فكرية مستحدثة دخلت مصر ، أثرت إلى حد كبير على دور المرأة ، وقد أتيح للمرأة أن تتعلم . ثم ظهر

قاسم أمين (١٨٦٣ - ١٩٠٨م) ، ونشر كتابه عن تحرير المرأة (١٨٩٩ م) ، فأثار قضية المرأة من مرقدها .

دعا قاسم أمين لتعليم المرأة ، وربط بين تنميتها وحالة الوطن ، كما دعا لتحريرها ، وإعطائها مكانتها فى المجتمع . كانت دعوته ترتبط بتعليم الإمام محمد عبده ، ورفاعة الطهطاوى ، وجمال الدين الأفغانى . وجد قاسم أمين مساندة من سعد زغلول ، وأحمد لطفى السيد ، وغيرهما . ظهرت قائدات للحركة النسائية مثل صفية زغلول ، وعائشة التيمورية ، وملك حفنى ناصف ، وهدى شعراوى ، وسيزا النبراوى ، وكثيرات غيرهن . نتج عن ذلك التوسع فى فتح مدارس البنات عام ١٩٠٦ وكانت أول مدرسة أنشئت للمعلمات عام ١٩٠٣ ببولاق بالقاهرة .

كانت ثورة ١٩١٩ ثورة سياسية ضد الاستعمار ، ولكنها كانت أيضا المنطلق الأول والأكبر للمرأة ، التى خرجت تدافع عن مصر ، وعن حرية شعبها ، بل إن دعوة هدى شعراوى أخرجت المرأة إلى المشاركة الاجتماعية ، وإلى النشاط الدولى . وكان هذا أول دور سياسى للمرأة .

بدأ دخول المرأة إلى مجال العمل عام ١٩٢٨ ، عند الأزمة الاقتصادية ، ثم اتسع بصفة أشمل عام ١٩٣٣ . وقد انشئت مدارس الخدمة الاجتماعية والتدبير المنزلى عام ١٩٦٠ ، وفُتح باب الجامعة للفتاة المصرية .

كان للثورة الصناعية ، التى بدأت بعد ذلك ، وتوسعت فى الستينات ، دورها الكبير فى دفع المرأة - دفعا - إلى مجالات العمل ، والدخول فى المجتمع . فإن الثورة الصناعية - دون شك - أدت الى نهضة المرأة . فقد شاركت المرأة فى الإنتاج وتنمية الحضارة المصرية .

من خلال كل تلك الحقَبْ ، قامت المرأة بدورها فى الريف المصرى - عاملة

جنبا إلى جنب مع الرجل ، إلى جانب رعاية بيتها واطفالها . وقد كان المجتمع الريفى يمثل ٦٠ بالمائه من المجتمع المصرى إلى وقت قريب ، عندما بدأ المجتمع القروى يقل تدريجيا نتيجة نزح العمالة إلى المصانع أو إلى المدن .

لم يكن اجتياز هذه المراحل بالأمر السهل . لقد واجهت فيها المرأة شتى المحن ، وهى تحاول أن تكتشف طريقها ، وأن تصل إلى مكانتها ، وإلى حقها فى الحياة كإنسان ، وكان ما حققته المرأة حصيلة كبيرة من جانبها ومعاونة ضخمة من الرجال الذين آمنوا بحقها فى الحرية .

وكانت محاولات قهر المرأة مظهرا من مظاهر التخلف الاجتماعى . فإن المرأة شريكة للرجل ، من بداية الحياة . وكان خروج المرأة إلى الحياة والعمل استردادا لإنسانيتها ..

ثم وصلنا إلى العصر الحاضر بكل تطوراته . دخلت المرأة المجتمع فى كثير من مجالاته . أصبحت المرأة تعمل ، وفسّر المجتمع عمل المرأة بأنه ضرورة اقتصادية للوفاء بحاجات الأسرة ، رغم أن أساس عمل المرأة ، كيانها ومقامها فى المجتمع أولا . وظهرت من وراء ذلك العديد من المواقف التى تحتاج للدراسة : مثل رعاية الأبناء ، وعلاقة الزوج والزوجة فى ضوء الحياة الاقتصادية المستقلة للطرفين ، كفاح المرأة لأجل المجتمع وتنميته ، وإلى غير ذلك .

إن قضية المرأة اليوم ، هى قضية المجتمع الذى نعيش فيه ، وليست منفصلة عنه . فإن مشاكل المرأة ترتبط بتفضيل الذكر على الأنثى ، وتكافؤ الفرص بينهما فى التعليم والتأهيل ، والتدريب المهنى ، كما أنها تواجه مشكلات فى العمل : مثل الأجر ، الاغتراب ، حالة المساكن الشعبية فى الاغتراب ، صعوبة

المواصلات ، سوء مواعيد العمل ، والإرهاق بين مسئوليات البيت ومسئوليات العمل ، سوء معاملة الرؤساء ، العمل ، المرض ، محدودية فرص الترقى . بل إن المرأة تواجه ضغوط المجتمع ، فتنزوى ، أو تنطوى على ذاتها ، أو أنها تكون هدفاً للشائعات والهجوم والتشويه دون داع . وفى حياتها العادية تواجه مشكلات مادية وأخلاقية وسلوكية ، كما تواجه علاقات من نوعيات عديدة من الأسرة أو المجتمع المحيط بها . ان الطلاق يحددها ، وتربية الأبناء عبء عليها .

الفروق بين الجنسين .
دراسة فى العوامل البيولوجية والإمكانيات الحضارية

إن قضية المرأة ، قديمة قِدَم الفكر البشرى . فإنه منذ نشأة الإنسان وقد ولع بالتمييز والمفاضلة بين المتناقضات . وقد وجدت الذكورة والأنوثة ثنائية تتابع فيها هذه الهواية . ظن الرجل أنه المعيار الذى يُقاس عليه ، وبدأ بذلك إبراز أوجه التشابه والخلاف . حاول الرجل ، إبراز تصرفات المرأة بأنها ناقصة وأن الرجل هو الأكمل والأسمى .

وهذا يدفعنا للتحدث عن الفروق البيولوجية والنفسية بين « الذكر » و« الأنثى » ورغم أننا لن نفيض فى الشرح ، لكننا نطرق بعض الأفكار الرئيسية التى تعاوننا على فهم القضية .

إن الفروق بين الذكر والأنثى ، لا تعنى التمييز ، بل إنها ترجع إلى العوامل البيولوجية والحضارية . إننا بالمعني البيولوجى ، والسيكلوجى ، لا نجد رجولة خالصة ولا أنوثة خالصة . فإن كل فرد يتحلى بخصائص بيولوجية لجنسه مع بعض الخصائص البيولوجية للجنس الآخر . فللذكر ، إلى جانب خصائص

الذكورة . توجد بعض الخصائص الانثوية التى تزيد أو تقل بين الواحد والآخر ، كما أن الانثى لها بعض خصائص الذكورة تتفاوت بين الكثرة والقلة بين أنثى وأخرى ، إلى جانب الخصائص الأنثوية الأصلية . فإن الهرمونات الذكرية والأنثوية تفرز فى الجنسين ، إلا أن الهرمونات الذكرية تزيد فى الذكر ، والأنثوية تزيد فى الأنثى . من هذا يظهر أن هرمونات النوع الآخر ، تفرز فى كل جنس ، لذا نشاهد بعض المظاهر الأنثوية فى الرجل ـ تزيد أو تقل حسب الهرمونات ، كما أننا نشهد بعض المظاهر الرجولية فى الأنثى ، تزيد أو تقل ايضاً حسب الهرمونات .

ونحن نحاول أن ندرس بعض المظاهر التى توضح الفروق بين الذكور والإناث . فإن كل سلوك يصدر عن الإنسان ، هو نتيجة تفاعل العوامل الوراثية مع العوامل البيئية ويرجع الكثير من الفروق إلى ظروف التنشئة الاجتماعية .

صحيح إن معظم العلماء من الرجال ، فهم فى مجال الاختراعات والفتوحات العلمية أكثر من النساء . لا ننسى أن المجال العلمى يبنى على أساس ثقة الإنسان فى نفسه ، مما يدفع للمخاطرات الفكرية . وقد تربى الرجال على ذلك ، فى حين حُرمت النساء من هذه الفرص . إن النساء اللائى نشأن فى مجتمعات أعطتهن ذاتية متساوية ، وفرص حياة مناسبة ، تراهن ينجحن فى الدراسة ، ويتفوقن كثيراً . ومع ذلك ، فإن عدد العباقرة من الذكور أكثر من الإناث وكذلك عدد الأغبياء وضعاف العقول . كما أن فروق الذكاء بين الذكور بعضهم وبعض ، أكبر من فروق الذكاء بين الإناث بعضهن وبعض . يميل الذكور إلى النشاط العلمى الميكانيكى والسياسى والحرب أكثر من الإناث . يتفوق الإناث فى القدرة اللغوية على الذكور . فالبنت تلتقط الألفاظ واللغات أسرع من الولد . يتفوق الأولاد على البنات فى القدرة الرياضية ، إلا أن قدرات الابتكار والخلق متساوية فى الجنسين .

من الباحثين من يقول إن نسبة العباقرة وضعاف العقول أعلى بين الذكور منها فى الإناث ، ويربطون ذلك بأن الذكور يواجهون الإنتاج وأعباء الحياة أكثر من الإناث . إلا أن الجنسين متساويان فى متوسط الذكاء .

« اجنوديس » ، عالمه الطب بالاسكندرية فى أوائل القرن الثالث الميلادى ، تخفت فى زى الرجال تمارس البحوث العلمية . اكتشفت وحوكمت ، وحُكم عليها بالموت ، للتجرؤ على قانون الرجال ، لولا أن ثورة نسائية بالمدينة أنقذتها .

إن المرأة تختلف عن الرجل فى مواجهة المشكلات . فاهتمامات الرجل عامة ، واهتمامات المرأة خاصة . إن بيت الأسرة هو امتداد لشخصية المرأة اكثر من الرجل واحساسها بالأمن والأمان يربطها ببيتها . عالم المرأة إنسانى ، وعالم الرجل هو العالم الخارجى . يتربى الأولاد من بدء حياتهم على ضبط عواطفهم أكثر من المرأة ، وقدرة النساء على التعبير عن ذواتهن اكثر من الرجال . المرأة — فى دورها الانسانى — تهتم بالمشاعر أكثر من الرجل ، لذلك فإن المرأة تبرز فيها عاطفية زائدة . لا يميل الرجل إلى منافسة المرأة ولا يقبل سيطرتها ، ولا تقبل المرأة أنها تكون مجرد وسيلة متعة للرجل ، فالمتعة مشاركة الطرفين . فالجانب البيولوجى للرجل والمرأة حاجة ورغبة للطرفين .

توصف الطاقة العضلية للمرأة بالضعف ، فإن الكُريات الحمراء فى المرأة أقل من الرجل ، وقدرتها على التنفس أضعف من الرجل . إلا أنه لا يجوز ربط الضعف العضلى بالأنوثة ، والقوة بالذكورة ، فللانثى مظاهر أقوى تعوضها . إن احتمال اصابة المرأة بالأوبئة أقل من الرجل ، كما أن قدرة المرأة على احتمال الألم اكبر من الرجل . هناك نساء أقوى عضليا ، أو لهن طاقة كبرى للاحتمال .

إن حياة المرأة حياة تجمع الألم واللذة معا فى إطار واحد . فالعادة الشهرية مع ما فيها من ألم هى تعبير على بلوغ الأنثى . للألم عند المرأة سحر كبير ، أكثر من الرجل ، وهو الذى يفرض عليها تقبل الكثير من المتاعب والألم ، وتحمل التضحية . إن الوظيفة الجنسية أو التناسلية للمرأة تتصف بالمازوشية (أى التلذذ فى احتمال الألم) . فالجماع يتم عن طريق فض البكارة ، وإنجاب النسل يتم عن طريق الألم والحمل والوضع ، إلى غير ذلك . إلا أن زيادة المازورشية عن الحد ، ينقلب إلى مرض .

ومن علماء النفس والاجتماع من يتحدثون عن قدرات للمرأة ، تتميز فيها عن الرجل . منها بعُد فكر المرأة وعمقها ، واتزانها العاطفى ، وحساسيتها المرهفة ، واهتمامها الزائد ببيتها وأسرتها لاعتبارها أن البيت هو امتداد لشخصيتها ، الى غير ذلك من المواصفات الذاتية للانثى .

من هذه اللمحات المختصرة ، نكتشف أن الفروق بين الذكور والإناث لا تضع جنسا ما فى مستوى أعلى من الجنس الآخر . إنها فروق بيولوجية ، تفاعلت مع البيئة ، والإمكانيات المتاحة فى المجتمع لانطلاق الجنس فى تعبيره عن نفسه ، أو استفادته من الفرص المتاحة له فى الحياة . والبروفيل السيكولوجى للمرأة هو نتاج الثقافة والدين والبيئة والحضارة .

إنه لا يحق لاحد ، أن يستخدم هذه الفروق للإقلال من شأن جنس دون الآخر ، إن هذه الفروق توضح التواجد من « نوعين » من الجنس البشرى ، يحتاج كل منهما للآخر بقدر مساو ، ويحتاج لهما معا .

لقطات دراسية فى سيكلوجية المرأة

يؤثر فى الأنثى جداً ، ترحيب الأسرة بمقدم الطفل الذكر أكثر من الطفل

الأنثى . فالذكر يحمل اسم الأسرة ، ويعطى لها احتراما . وهذا يؤثر على علاقة الطفلة بإخوتها الذكور ، وبوالديها . نشأ عن ذلك رغبة الإناث فى التسمية بالذكور (عقدة الذكورة) ، أو كراهيتهن لجنسهن . فإن البنت ، تشهد أن مقاليد الأمور فى يد الذكور . أو أن البنت ، - أحيانا - تأخذ دور الشهيدة المضطهدة (ماسوشية) ، وتحس بأنها معذبة مجروحة ، وتراها مستسلمة لحظها السيىء . إن الإحساس بعدم الرضا على الجنس ، يترك آثارا نفسية سيئة جداً .

فى مرحلة المراهقة ، تواجه الفتاة « الحيض » ، الذى هو رمز الأنوثة . وفى أول طمث تشعر البنت بخجل شديد . فهى تحاول إخفاء الحيض وعدم التحدث عنه . فإن صاحب الطمث قلق أو تعب ، تحدثت عن التعب بأى صورة دون أن تربطه بالطمث .

عناية المراهقة بجسمها تفوق كل شىء . فهى تهتم بجسمها أكثر من اهتمامها بملابسها . إهتمامها يرتبط بجسدها ، فإن النزعة النرجسية لدى الفتاة واضحة جدا . يرافق عنايتها بجسمها ، إعجابها بمفاتن قوامها وأعضائها ، يؤثر هذا الإعجاب على تكوينها النفسى . إن المراهقة تُجمِّل جسمها ، لا لتحظى باهتمام الولد ، بل ليكون إعجاب الولد بها تأكيد لها على أنها جذّابة .

تهتم المُراهِقة بأعضائها الجنسية متأخرا عن المراهق . الفتاة كالفتى ، قد تصاب بصدمة عندما تعرف حقيقة العلاقة الجنسية . وأيًّا كانت مصادر المعلومات الجنسية للمراهقة ، فهى تكون مجربة بالتجريب . وفى مرات عديدة ، تمارس الفتاة المراهقة الجنس ، ليس رغبة فى الجنس ذاته ، بل بدافع المغامرة . فإن غامرت ، امتلأت بالإحساس بأنها سقطت وكل شىء قد ضاع ، فتكرر التجربة . إن الجهل بالجنس عند المراهقة يدفعها للتجريب ومن

ثَمّ للانحراف . لذلك كان التعليم الجنسى ضرورة مُلحة .

فى المرحة الأولى من المراهقة تكون الميول الجنسية بين الفتاة وفتاة أخرى ، ثم تبرز الميول الجنسية للجنس الآخر تدريجيا . إلاّ أن إدراك الفتاة للعلاقة الجنسية ، يجعلها دائما تنظر للذكر ، على أن دافعه الأول هو السيطرة على الأنثى .

يتطلب المجتمع من الفتاة كثيرا . فهى مقيدة فى حركتها ، مهددة بالاساءة إلى سمعتها . تُعامَل كثيرا على أنها أقل قدرا من الولد .

إن المجتمع يضع الفتاة فى إطار ضيق ، فهو يحدد من إنطلاقها الفكرى ، ويكبُت طاقاتها عن الأنطلاق ، ويشل من قدراتها الخلاقة .

بعد الزواج ، تواجه المرأة المجتمع بكل ما فيه من مشكلات تجاه « وضع » المرأة . فهى مطالبة بأن تكون مرؤوسه ، خاضعة ، فى وقت تحس فيه بأن الرجل قد لا يكون شاعرا بدوره الحقيقى تجاه زوجته . ولا تزال مجتمعات عديدة تُرغم المرأة على الزواج من شخص لا تستريح إليه . كما أنها مهددة بالتطليق . ويسوء المرأة أن الرجل له « عِرض » « والمرأة » لا عِرض لها ، أمام القانون . فالرجل يدافع عنه القانون إن اخطأت المرأة ، أما المرأة فلا يدافع عنها القانون إن اخطأ الرجل .

يصور المجتمع للفتاة أن هدفها الاول فى الحياة ان تتزوج ، وكثيرا ما تقبل الزواج ، ليس لأنها ستسعد ، بل حرصا على نفسها من هجوم المجتمع وانتقاده لها . إن الفتاة منذ طفولتها ، يتربى فيها اتجاه الأمومة . إن الدعوة إلى أن المرأة تحتاج إلى رجل يحميها ، دعوة تضايق المرأة . فهى قديرة على حماية نفسها .

والمرأة تواجه وضعا متوترا ، إن عاشت لوحدها . فإن كانت غير متزوجة أو أرمل أو مطلقة ، فهى تقابل تحديات وشكوكا ، تحد من صداقاتها ، وعلاقاتها ، وقدرتها على العمل . تؤثر كل هذه العوامل على قدرة المرأة على التفكير الخلاق والعمل الجاد ، والانتاج .

كم من نساء كن ضحية شائعات لا أساس لها من الصحة ، أو هجوم من أشخاص يضمرون انتقاما شخصيا . ليس معنى ذلك أنه لا توجد نساء منحرفات ، فالشر موجود فى الرجل والمرأة على حد سواء . لكن المرأة إن اخطأت ، أمسك الرجال والنساء الأحجار يرجمونها ، بينما قد لا يتحركون إن أخطأ الرجال .

من هذه اللقطات العابرة ، نلمس بعض الجوانب القليلة ، التى ترسم لنا صورة الأنثى فى مجتمعنا ، وتوضح لنا قضية المرأة ، وهى تكافح ، لعلها تهتدى فى طريق سوى ، يعطيها حقها الكامل كإنسان .

ثانيـــا
المرأة فى العهد القديم

مصادر الدراسة

المصدر الرئيسى لهذه الدراسة ، هو العهد القديم . يقف – تاريخيا – الى جانب ذلك المصدر ، قانون حمورابى (١٧٩٢ – ١٧٥٠ ق . م) ، وهو الذى يشرح أيام ابراهيم منذ خروجه من أورالكلدانيين ، وقانون أشور الأوسط (١٤٥٠ – ١٢٥٠ ق . م) الذى يشرح الحياة أيام موسى النبى ونظام حضارة بابل (١٧٧٥ ق . م) . يرجح أن ابراهيم ترك أور الكلدانيين حوالى (١٨٠٠ ق . م) . ونحن نحاول أن نقتبس من هذه المصادر حسب حاجة الدراسة .

الرحلة التاريخية عبر العهد القديم

يبدأ العهد القديم بقصة الخلق . وقد أرست هذه القصة الأسس والقيم لمكان المرأة ودورها ، فى الفصلين الأول والثانى من سفر التكوين . وسوف نعود إليها فى دراسة مسهبة ومشروحة . ولذا ، فنحن ندرس هنا العهد القديم ، دون أن نتطرق للفصلين الأول والثانى من سفر التكوين .

إن الرحلة التاريخية عبر العهد القديم رحلة طويلة ، كما أنها تختلط بحضارات عديدة . فلقد ارتبط المجتمع بتقاليد ونظم متنوعة . كانت الشرائع الموسوية محاولة جادة لتنظيم العلاقات والقيم بين أفراد الشعب الواحد ، وفى علاقته مع الشعوب الأخرى . وعندما استقر الشعب فى أرض كنعان ، احتاج لتطوير شرائعه لتوافق الاستقرار ، مقابل شرائع مجتمع الترحال والتنقل .

ان العهد القديم يتحدث عن معاملة الله لشعبه ، ومعاملة الله للعالم من خلال شعبه ، أو مباشرة . لذلك كانت توجيهات الله لشعبه من خلال شرائع ، تمس

كافة الجوانب . فان شعب الله ، كان محاطا بشعوب أخرى ، وثنية ، وكانت دعوة الله هى أن تتحول العادات والتقاليد والقيم والنظم الاجتماعية الى ما يتفق والدعوة الإلهية وما يتجاوب مع الإيمان بالإله الواحد .

من الشرائع التى نجدها ، فى الأسفار الموسوية ، شريعة التقدمات (لاويين ٢ ، ٣) وشريعة الذبائح (لاويين ٤ - ١٠) وشريعة السبت (لاويين ١٦) ، ولا شك أن هذه الشرائع كانت مقدمات ، حتى جاء السيد المسيح ، وصنع بنفسه فداء لخطايانا على الخشبة ، وبذلك لم يصبح هناك داع للذبائح بالنظام الموصوف فى العهد القديم ، إذ صار المسيح نفسه ، رئيسا للكهنة ، أكمل الرسالة بنفسه (عبرانيين ٥ : ١ - ١٠) ينطبق نفس الفكر على كل الشرائع الكهنوتية التى ترتبط بالنظام اللاوى فى العهد القديم .

ومن الشرائع أيضا : شرائع صحية ، فى وقت لم تكن المفاهيم الصحية الحديثة قائمة ، منها شريعة البرص (لاويين ١٤) . وشريعة ذبح البهائم والطيور الصالحة للأكل (لاويين ١١) وشريعة ذى السيل (لاويين ١٥) . إلى غير ذلك . وشريعة ذى السيل (لاويين ١٥ : ٣٢) تختص بالرجال فى حالة وجود افرازات أو النساء فى حالة الحيض .

هناك شرائع اجتماعية وسلوكية ترتبط بالزواج ، ومن يتزوج من ؟ والعلاقة بالزوجة الواحدة ، أو علاقة الزوج بزوجاته وجواريهن ، وشريعة الطلاق الى غير ذلك . والى جانب ذلك شريعة « الزنى » ومفهومه وعقابه (مثلا - تثنية ٢٢ : ١٣ - ٣٠ ، تثنية ٢٤ : ١ - ٥ ، وغيرهما) .

ولاشك أن هذه الشرائع كانت خطوة انتقالية من نوع المعيشة التى عاشها الشعب قبل إعلان الشريعة الإلهية لبدء الانضباط ، ونظام السلوك . ولاشك أن بعض هذه الشرائع كانت خطوة انتقالية ، للرؤيا الأشمل والأكمل فى المسيح.

فإنه – على سبيل المثال – كان الزواج من واحدة فقط ، هى خطة الله من البدء ، إلا أن الشرائع الموسوية سمحت بالطلاق لقساوة القلب البشرى . كما أن بعض هذه الشرائع كانت محددة بالنظم الاجتماعية والدينية التى كانت سائدة فى عصرها ، وكان لابد من تحديد هذه النظم التى لا تتفق مع عبادة الله : مثل ، تقديم الأبناء للنار ، والعرافة ، واستشارة الموتى ، إلى غير ذلك (تثنية ١٨ : ٩ – ١٤) .

من هذا العرض الموجز لبعض الشرائع الموسوية ، نكتشف مواجهة العهد القديم لعديد من القيم والتقاليد والعادات الاجتماعية والدينية والصحية اللازمة للشعب .

ولما كانت الرحلة التاريخية – عبر العهد القديم – طويلة ، فإن بعض القيم تطورت عبر التاريخ أو تعدلت . ولما كان من الصعب علينا أن نستوفى دراسة شاملة مؤرخة فى هذا البحث ، سنحاول – باختصار – أن نلقى الضوء ، من خلال العهد القديم على بعض القضايا الفكرية المعينة التى تمس المرأة .

المرأة فى المجتمع عبر تاريخ العهد القديم

لما كان من الصعب علينا ، أن نعمم المبادىء والقيم عبر التاريخ الطويل للعهد القديم ، لذلك كان لزاما علينا أن نركز الفكر – فى العهد القديم – على نقاط أساسية ، علّنا نلقى الضوء على هذه المرحلة .

كان الدور الأصيل للمرأة – فى فترات عديدة عبر العهد القديم – داخل بيتها ، ولرعاية أطفالها . ولا شك أن دور المرأة كان أقل من دور الرجل فى ذلك الزمان . كان دور المرأة فى المجتمع بصفة عامة محدودا ، ما عدا فى بعض

الفترات من تاريخ العهد القديم .

وقد فضلت الشريعة اليهودية « الولد » على « البنت » . فالأم تكون غير طاهرة بعد كل ولادة . إلا أن عدم طهارتها ٣٣ يوما فى حالة ولادة ولد ، تزيد الى ٦٦ يوما فى حالة ولادة بنت (لاويين ١٢ : ١ — ٢٧) . كان يجوز للوالد ، عندما يحتاج ، أن يبيع ابنته (خروج ٢١ : ٧) لا ابنه . كما أن النذر فى حالة الولد يختلف عنه فى حالة البنت (لاويين ٢٧ : ١ — ٨) .

كان التطور ، فى إعطاء المرأة ذاتيتها ، ومكانتها الانسانية ، ودورها فى المجتمع دورا متطورا ، ويمكن دراسة ذلك تاريخيا ، عبر الحقب المتعاقبة فى العهد القديم . وهى دراسة رائعة ، وإن كان المجال لا يسمح لها فى هذا البحث المختصر .

أعطى العهد القديم للمرأة حقوقا ، لها أهميتها ، كانت تعتبر تقدما فى مكانة المرأة فى تلك العصور . فإنه بالمقارنة مع شرائع حمورابى واشور وبابل ، كان العهد القديم متطورا جدا فى إعطاء حقوق المرأة .

مجد العهد القديم المرأة فى دور الأم ، من ذلك نماذج حَنة وراعوث ومريم ، وغيرهن كثيرات ، كما تحدث عن نساء شريرات كان لهن دور سىء مثل ايزابيل ، وبشبع ، ودليلة ، وعثليا .

لم يكن حجاب الوجه معروفا فى العهد القديم ، بل غطاء الرأس هو الذى استخدم والاشارة الوحيدة الى لبس الحجاب كانت عندما لبست ثامار الحجاب (تكوين ٣٨) . وكان تفسير غطاء الرأس انه من قبيل خجل المرأة (تكوين ٢٤ : ٦٥) .

ورغم ان « الحجاب » لم يكن ظاهرة أساسية فى العهد القديم ، إلا أن غطاء

الرأس كان يميز المرأة الشريفة عن العاهرة . فالعاهرة لم تكن تغطى رأسها . سارة ظهرت فى مصر ، رفقة عند البئر (تكوين ٢٤ : ١٦) . رغم أن ليئة غطت وجهها ببرقع فى ليلة الزفاف بقصد الخداع (تكوين ٢٩ : ١٧) . حنه كانت تصلى عند شيلوه مكشوفة الوجه (صموئيل الأول ١ : ١٢ ، ١٣) . هاجم اشعياء لابسات البراقع (اشعياء ٣ : ١٦ – ٢٤) .

وقد سمح بميزات للبنات . فقد أعطى أيوب بناته ميراثا (أيوب ٤٢ : ١٥) وأعطى ألقانه أنصبة لحنة وفننه زوجتيه (صموئيل الأول ١ : ٤ ، ٥) . وعندما طالبت بنات صلفحاد بحقهن فى الميراث ، حصلن عليه (عدد ٣٦ : ١٠) ، وكذلك حقهن فى الزواج (عدد ٣٦ : ٦) . وقد اهتمت الشريعة بالأرامل . « لا تسىء إلى ارملة ما ، ولا يتيم (خروج ٢٢ : ٢٣) » .

وعندما وضعت الشريعة نظام تحرير العبيد فى السنة السابعة ، حررت العبيد والإماء (تثنية ١٥ : ١٢ – ١٧) .

ساند الله رأى سارة فى مواجهة رأى ابراهيم ، أب المؤمنين ، إذ قال الله لابراهيم : « فى كل ما تقول لك سارة ، إسمع لقولها (تكوين ٢١ : ١٢) » . فإن الاستماع لقول المرأة كان كرامة لإنسانيتها . وكان الرجل مطالبا أن يُدخل السرور إلى امراته (تثنيه ٢٤ : ٥) . وقد استشيرت رفقة فى الزواج ووافقت (تكوين ٢٤ : ٥٥ – ٥٨) .

الزواج والطلاق فى العهد القديم

تطور نظام الزواج والطلاق فى العهد القديم عبر عصوره الطويلة ، وأخذ نظما متعددة ، لا يمكن تعميقها . وكان أسلوب الأسرة فى العهد القديم يرتبط

أحيانا بمكان شعب الرب ، سواء فى البرية أو فى ارض كنعان ، سواء فى السبى أو فى اورشليم ، وكان للمجتمعات المحيطة والمتداخلة مع شعب الرب مواقف عديدة ، وتأثيرات عميقة لا يجوز إنكارها . ونحن نحاول أن نأخذ من العهد القديم لقطات مصنفة ، تعاون القارىء أن يدرك ما كان الحال عليه ، رغم اختلاف أساليب المعيشة فيها .

إرتبط الزواج بالثروة ومصالح القبيلة فى بدء التاريخ . وكانت الاتفاقات على الزواج تتم مع الكبار .[1] وكان « مهر » الزواج من الهدايا والأملاك . وكان أهم شرط فى حالة الاتفاق على الزواج ، هو اثبات حقوق الزوجة فى حالة وفاة الزوج . وعند وفاة الزوج ، كانت القبيلة ترعى الأبناء باعتبارهم أبناء القبيلة . وكان من حق الأبناء والبنات ميراث الأب عند وفاته . من حق الأرملة أن تتزوج ، فإن تزوجت خارج القبيلة لم يكن يسمح لها أن تأخذ شيئا معها من أملاكها .

كان تعدد الزوجات مسموحاً به . وقد كان دائما تعددا للزوجات وليس للأزواج . استمر هذا عبر العهد القديم . فإن أم صموئيل النبى ، واحدة من زوجتين (صموئيل الأول ١ : ٢٠) ، ووالد جدعون كان له العديد من الزوجات (قضاة ٨ : ٣٠) ، تزوج داود الملك ثمانى زوجات ، (صموئيل الأول ١٨ : ٢٠ ، ٢٧ ، ٢٥ : ٢٩ ، ٤٣ ، صموئيل الثانى ٣ : ٢ - ٥ ، ١٣ : ١١ - ٢٧ ، ملوك الأول ١ : ١ - ٤) ، وعندما ذهب الى أورشليم تزوج أخريات (صموئيل الثانى ٥ : ١٣ - ١٦) وتزوج سليمان الملك العديد من النساء ، وكان لبعض زواجاته أسباب سياسية واقتصادية .

رغم أن حواء خلقت « معينة » لآدم ، إلا أنه عبر تاريخ البشرية ، سيطر الرجل على المرأة ، واعتبرها من « متاعه » . فقد اعتبر الرجل أن أملاكه تشمل

المواشي والطيور والأثاث والنساء .

اعتبر الزوج أنه هو « البعل » أى رئيس الأسرة . وهو صاحب السلطان والقرار . إن رئيس الأسرة (أو القبيلة) ، هو المتحدث الرسمى باسمها . يدخل ضمن « أملاكه » الزوجة والأبناء .

كما اعتبرت الشريعة الزوجة الصالحة دليل رضى الله ، فإن « من يجد زوجة يجد خيرا وينال رضى من الرب (امثال ١٨ : ٢٢) » كما اعتبرت أن « المرأة الفاضلة تاج لبعلها (امثال ١٢ : ٤) » . بحث ابراهيم عن زوجة لابنه اسحق (تكوين ٢٤) ، وأرسلت الزوجة تجاوبا مع تقدير والدها لوالد الزوج (تكوين ٢٤ : ٤٩) . طلب شمشون من والديه إيجاد زوجة له ، وقد اعترضا على زواجه من فلسطينية (قضاة ١٤ : ١ – ٤) فقد كان من المهام الرئيسية للأباء والأمهات ، البحث عن زوجات لأبنائهم .

لم تكن للمرأة حرية كافية ، حتى فى زواجها . فعندما « أمسكوا بنات شيلوه » ليتزوجن البنياميين (قضاء ٢١ : ١٦ – ٢٤) ، كان ذلك تعبيرا عن أن الزواج يمكن أن يتم لأهداف اجتماعية أو سياسية أو اقتصادية . والمرأة كانت مجرد وسيلة لتحقيق هذه الأهداف ، مما كان إقلالاً لقيمتها الذاتية كإنسانٍ . إلا أن هناك حالات كانت تُسأل فيها الفتاة عن موافقتها على زواج ما (تكوين ٢٤ : ٥٧) . إلا أن الفتاة – فى المعتاد – كانت توضع فى مواقف لا تدرك فيه كيف تختار شريك حياتها . إن بنات صلفحاد ، عندما طالبن بحقهن ، كانت لهن حرية أكبر (عدد ٣٦ : ٦) .

وكانت الشريعة تشترط أنه « إن اتخذ لنفسه أخرى » ، لا ينقص طعامها وكسوتها ومعاشرتها (خروج ٢١ : ١٠) إقرارا للعدالة بين الزوجات .

ساوت الشريعة فى معاملة الأبناء للآباء والأمهات . قدست الشريعة الأمومة (لاويين ١٤ : ٥٣) « ملعون من يستخف بأبيه وأمه (تثنية ٢٧ : ١٦)) » . و « كل انسان يسب أباه أو أمه يقتل (لاويين ٢٠ : ٩) » . طالبت الشريعة باكرام الأب والأم معا (خروج ٢٠) ، ووصفت البنات بأنهن مثل الغروس النامية ، كأعمدة زوايا (مزمور ١٤٤ : ١٢) وقدرت دورهن فى مهام العمل التجارى (أمثال ٣١ : ٢٤) .

سمحت الشريعة للأخ ، أن يقيم علاقة مع زوجة أخيه المتوفى ليقيم لأخيه - بعد وفاته - نسلا . وكانت خطية أونان ، أنه دخل على امرأة أخيه المتوفى ، ثم أفسد على الأرض لكى لا يقيمَ نسلاً لأخيه (تكوين ٣٨ : ٩) وبذلك كان الاتهام لأونان أنه أراد أن يرث أخاه ، ولا يعطى حقا لزوجة أخيه المتوفى أن تحتفظ لها ولنسلها بالميراث ، مما يعارض الشريعة : « لا تشته امرأة قريبك ولا تشته بيت قريبك ، ولا حقله ولا عبيده ، ولا أمته ، ولا ثوره ، ولا حماره ، ولا كل ما لقريبك (تثنية ٥ : ٢١) » .

كانت العلاقات بين المرأة والرجل ، علاقات متسيبة ، بلا ضوابط . لذلك فإن تنظيم الزواج ، والطلاق فى العهد القديم ، كان ضابطا للنظم التى كانت سائدة فى مجتمعات أخرى فى تلك الأيام . وبذلك ارتفع مستوى المرأة الإنسانى فى مجتمعات العهد القديم ، عن مستواها خارج التاريخ المقدس .

للرجل وحده حق إنهاء الزواج ، وفى هذه الحالة يعطى زوجته المطلقة تعويضا ماليا او هدية الزواج . الزوجة لم تكن تطلق زوجها الا عن طريق المحكمة . وعندما تطلق زوجها ، تأخذ المهر ، وتعود الى بيت أبيها .

أما تصريح الطلاق الموسوى ، فكان على هذا النحو :

« اذا أخذ رجل امرأة ، وتزوج بها ، فإن لم تجد نعمة فى عينيه ، لأنه وجد فيها عيب شيء ، ودفعه إلى يدها وأطلقها من بيته . ومتى خرجت من بيته ، ذهبت وصارت لرجل آخر . فإن أبغضها الرجل الأخير . وكتب لها كتاب طلاق ، ودفعه الى يدها ، وأطلقها من بيته ، أو إذا مات الرجل الأخير الذى اتخذها زوجة له ، لا يقدر الرجل الأول الذى طلقها أن يعود يأخذها لتصير له زوجة (تثنية ٢٤ : ١ — ٤) » .

ان تنظيم كتاب طلاق ، كان ضابطا للعلاقات المتسببة فى ذلك الوقت وحفظا لحق المرأة . فكان لابد للزوج أن يعطيها كتاب الطلاق فى يدها .

هناك حالتان فقط لا يجوز فيهما الطلاق (تثنية ٢٢ : ١٣ — ٢٩) :

(١) إن اتهم زوجته باطلا لايمكن ان يطلقها (خروج ٢٢ : ١٦ ، ١٧) .

(٢) إن زنى رجل ، مع فتاة عذراء ، يتزوجها ولايطلقها .

شريعة غشاء البكاره (العذرة)

وقد وضعت الشريعة الموسوية « شريعة العذرة » للتأكد من طهارة المرأة جنسيا (تثنية ٢٢ : ١٣ — ٢١) . وغشاء البكاره كان دليلا على عذراوية الفتاة . فإن الشريعة — عبر العهد القديم — كانت تحاسب الزانية ، لا الزانى . وحتى عصر السيد المسيح ، كانوا يرجمون الزانية ، ويتركون الزانى حرا .

إن هذه الأفكار ترينا « المرأة » جزءا من ممتلكات الرجل منذ أن تخطب له ، فالاعتداء بالاكراه على المرأة ، يعطيها الحق أن تعلن ذلك بالصراخ ، فإن لم

تصرخ كانت موافقة ـ وكانت الجريمة عادة ـ أكبر ، متى كان المعتدى عليها من قبيلة أخرى . فالاعتداء فى هذه الحالة ـ سياسيا ـ اعتداء صارخ .

وقد كان المفهوم فى تلك الأيام أن غشاء البكارة هو دليل طهارة الأنثى ، وعدم مضاجعتها لرجل . فاتخذ الأقدمون تواجد غشاء البكارة علامة الطهارة . وقد كانت الفكرة أساسا ، أن الانثى تكون لزوجها فقط ، باعتبارها تصبح « ملكا » له ، كمتاعه . فإن عنصر الامتلاك كان الهدف الأول والأهم للطهارة .

ونقطة الضعف فى هذا أن العلاقة الجنسية قد تتم بدون هتك غشاء البكارة ، كما أن الغشاء قد يتهتك لأسباب غير العلاقة الجنسية ، أو قد تولد الأنثى بدونه . إلاّ أن الإطار العلمى فى ذلك الوقت كان يحدد تواجد غشاء البكارة كوسيلة لإعلان طهارة الانثى .

شريعة الزنى

وقد وضع العهد القديم شريعة الزنى : فجاءت الوصية « لا تزن » (خروج ٢٠ : ١٤ ـ ١٧) » . وقد كانت أساسا حماية للأسرة . ولعل الدافع من وراء ذلك أن إباحة الجنس ، التى كانت تمارس فى الشعوب الأخرى ، جعلت من المرأة وسيلة لمتعة الرجل ، دون رابط يرتبط بينهما . لذلك كانت وصية عدم الزنى ، أساسا لاحترام المرأة . متى ارتبط الرجل بالمرأة ، كان يلزم أن يكون وفيا لها . وقد ركزت الشريعة فى العهد القديم ، على إعطاء المرأة قيمة أفضل .

الزنى ، كان يعتبر جريمة كبرى . فمن يزنى مع زوجة ما ، يعتبر الزنى اعتداء الزانى على زوجها . بمعنى آخر ، يعتبر الزانى معتديا على ملكية رجل آخر .

الزانى عادة يبرر نفسه ، أنه لم يعرف أنها متزوجة . فإن الزانى لم يكن يُعتبر زانياً ، ما لم تكن المرأة متزوجة . لم يكن يحاسب الرجل ، وهناك بعض النصوص :

« إذا وجد رجل مضطجعا مع امرأة ، زوجة بعل ، يقتل الاثنان ، الرجل المضطجع مع المرأة » (تثنية ٢٢ : ٢٢) .

« اذا كانت فتاة عذراء مخطوبة لرجل ، فوجدها رجل فى المدينة ، واضطجع معها فأخرجوهما كليهما الى باب تلك المدينة ، وأرجموهما بالحجارة حتى يموتا : الفتاة من أجل أنها لم تصرخ فى المدينة ، والرجل من أجل أنه أذل امرأة صاحبه (تثنية ٢٢ : ٢٣ ، ٢٤) » .

« اذا راود رجل عذراء ، ولم تخطب ، فاضطجع معها ، يمهرها لنفسه زوجة ، إن أبى أبوها أن يعطيه اياها ، يزن له فضة كمهر العذارى (خروج ٢٢ : ١٦ ، ١٧) » .

نرى من هذه الآيات ، أن علاقة غير متزوج مع عذراء ، كان يحتم أنها ، عن طريق المضاجعة ، صارت ملكا له ، ويلزم أن يتزوجها . أما إن كانت المضاجعة مع سيدة متزوجة ، زوجة بعل ، فيكون هذا الاعتداء على زوجها جريمة يعاقب عليها الاثنان . بل إن العذراء المخطوبة ، تعتبر بحكم الخطبة ، ملكا لخطيبها ، ولا يجوز لها أن تكون لآخر .

المرأة والعبادة فى العهد القديم

لنرجع أولاً إلى بدء التاريخ ، فإنه فى عصرى ابراهيم وموسى لم يتحدث حمورابى عن الكهنة ، ربما لظروف سياسية ، لكنه تحدث عن نظام الكاهنات .

والكاهنة هى « عاهرة » القبيلة ، كان الشعب يتصل بالآلهة عن طريق الزنى مع أجساد الكاهنات . يغلب على الظن أن الكاهنات كن يأتين من بيئات مستواها الاجتماعى أقل . وقد كان « الزنا المقدس » ركنا هاما فى العبادات الشائعة فى ذلك العصر . لذلك كانت وظيفة « كاهنة » تمثل نسوة ، لهن حريات أكبر من النسوة العاديات . إلا أن المجتمعات أتاحت لهن حريات أكثر من حرية المرأة العادية ، وربطتها بالدين .

وقد كانت عبادة « يهوه » فى العهد القديم ، لا تتيح فرصة لعبادة آلهة أخرى فقد نصت الشريعة أنه « لا يكون » لآلهة أخرى ، أى اعتبار ، لدى شعب الله ، لهذا صدرت الشرائع التى تمنع كل العبادات الأخرى ، وكل ما يمسها من نظم (تثنية ٧ : ٢٥ ، ٢٧ : ١٥ ، عدد ٢٥ : ١ – ١٥ ، لاويين ١٨ : ٢٤ ، ١٨ : ٣٠) . وبالتالى ، فإن العهد القديم لم يقر نظام ، الكاهنات ، ولا الزنا المقدس .

لم يتحدث القانون البابلى عن الحياة الدينية للمرأة .

أما فى العهد القديم ، فقد كان للمرأة حق الصلاة : حنه (صموئيل الأول ١ : ١٠) ، رفقة (تكوين ٢٥ : ٢٢) ، سارة (تكوين ٣٠ : ٦ ، ٢٢) .

ويتضح لنا أيضا من العهد القديم ، أن الله تكلم مباشرة مع النساء.خاطب حواء « فقال الرب الإله للمرأة : ما هذا الذى فعلت ؟ (تكوين ٣ : ١٣) » . وتحدث إلى هاجر : « وقال : يا هاجر ، جارية ساراى : من أين أتيت ؟ وإلى اين تذهبين ؟ فقالت : « انا هاربة من وجه مولاتى سارة (تكوين ١٦ : ٨) » . وسمع الله صوت الغلام ، ابن هاجر ، ونادى ملاك الرب هاجر

من السماء ، وقال لها : « مالك يا هاجر . لا تخافى لأن الله قد سمع لصوت الغلام حيث هو (تكوين ٢١ : ١٧) » . كما خاطب الله امرأة نوح : « فتراءى ملاك الرب للمرأة وقال لها : « هأنت عاقر لم تلدى ، ولكنك تحبلين وتلدين ابنا (قضاة ١٣ : ٣) » .

وفى العبادة الجمهورية ، كان للمرأة دور إيجابى . قدم نوح ذبيحة عن الأسرة (تكوين ٨ : ٢٠) ، وكذلك ابراهيم (تكوين ١٢ : ٧ ، ١٣ : ١٨) ، اشتركت المرأة فى الخدمة على باب خيمة الإجتماع (خروج ٣٨ : ٨) . اشتركت فى الأكل من الذبائح (صموئيل الأول ١ : ٤ ، ٥) . قدمت حنه ذبيحة عندما أحضرت صموئيل الطفل إلى عالى الكاهن (صموئيل الأول ١ : ٢٤) . وفى التطهير كان للزوجة دورها (لاويين ١٢ : ٦ ، ١٥ : ٢٩) .

قادت اخت موسى الشعب ، فى موسيقى النصر ، ورقصت أمام الشعب (خروج ١٥ : ٢١ ، اخبار الأول ٣٥ : ٢٥) . ثم اشتركت المرأة فى الولائم المقدسة (تثنية ١٦ : ١١ - ١٤) وفى مناسبات الافراح وولائم العرس وأعياد الفصح والمظال وغيرها ، وكلها مناسبات طقسية دينية (تثنية ١٦ : ٢٤) . والنساء كن يقمن بالغناء فى بيت الرب (أخبار الأول ٢٥ : ٥ - ٧) .

اشتركت المرأة بعد بناء الهيكل فى فرق الترنيم والليترجيا فى الهيكل (مزمور ٦٨ : ٢٤ ، ٢٥) . بنات شيلوه - أيام داود الملك - حضرن الاحتفالات بتابوت عهد الرب ، ورقصن الرقص الدينى . وبعد السبى اشتركن فى الغناء (عزرا ٢ : ٦٥ ، نحميا ٧ : ٦٧) . حنة وفننة ، ذهبتا سنويا إلى شيلوه للمشاركة فى العبادة الجمهورية وفى أيام نحميا ، حضرت النسوة تلاوة الشريعة .

كانت المرأة مطالبة بحفظ الشريعة (يشوع ٨ : ٣٥) . وفى عصر القضاة اختيرت دبورة قاضية (قضاة ٤ : ٨) . وقد كانت مهمة القضاة مهمة مدنية دينية . فقد كانت مستشارة . كما قادت دبورة جيشا لمحاربة باراق . كانت إلى جانب ذلك نبية . وقد كانت خلدة النبية ، مستشارة للقيادة الروحية والسياسية (أخبار الأيام الأول ٣٤ : ٣٢ ، وملوك الثانى ٢٢ : ١٤) .

تحدثت الشريعة الموسوية عن النذير لله ، وكان يمكن أن يكون رجلا أو امرأة . قال الله لموسى : « كلم بنى اسرائيل وقل لهم : إذا انفرز رجل أو امرأة ، لينذر نذر النذير . لينتذر للرب (عدد ٦ : ٢) » . وكانت حنة بنت فنوئيل ، من سبط أشير ، نبية (لوقا ٢ : ٣٦) .

اختيرت المرأة نذيراً للرب (عدد ٦ : ٢٠) . وقد كانت وظيفة النبية وظيفة معترفا بها (نحميا ٦ : ١٤) . وحنة بنت فنوئيل ، وقفت فى الهيكل تسبح الرب عندما رأت الطفل يسوع (لوقا ٢ : ٣٨) .

كان لأستير دور كملكة لملك وثنى . وعندما تحدث ميخا النبى عن تحرك شعب الله ، ذكر أن الله أرسل أمامهم ، موسى وهرون ومريم (ميخا ٦ : ٤) . فقد ذكر اسم مريم ضمن القيادة .

كذلك كان للمرأة دورها فى العبادة لعبادة يهوة . فإن إيزابل الشريرة ، أدخلت عبادة البعل ، وجعلت الشعب يخطىء (ملوك الأول ١٦ : ٣١ ، ٣٢)

يتحدث إرميا النبى عن : « كل الرجال الذين عرفوا أن نساءهم يبخرن لآلهة أخرى ، وكل النساء الواقفات فى محفل كبير » . (إرميا ٤٤: ١٥) مما يرينا نسوة فى عهده يتعبدن ليهوه وأخريات لعبادات شريرة . كما يرينا استقلال

المرأة عن زوجها فى اختيار العبادة التى تريدها .

لم يكن دور المرأة فى العبادة سلبياً . بل كن يشتركن إيجابيا فيها ، إلا أن وظيفة الكهانة كانت للرجال من سبط لاوى (عدد ٣ : ١٢ ، ١٣) ، ومن بيت هرون (خروج ٢٨ : ١ – ٣) . وكان الشيوخ من الرجال .

كما أنه لا توجد أية اشارة فى العهد القديم عن أن المرأة لا تتكلم فى المجمع . لقد كانت تشترك فى العبادة ، وكان اشتراكها إيجابيا .

تعليق ختامى

بعد أن استعرضنا وضع المرأة عبر تاريخ العهد القديم ، لا بد لنا أن نقف أمام حقائق أساسية :

(١) لم يكن التعميم سهلا . فإن لكل ظاهرة استثناءات ، كما ظهر من الدراسة . فإن كانت الظاهرة – مثلاً – تزويج الفتيات لأغراض سياسية أو اجتماعية ، أو بسبب رأى الأسرة ، إلاّ أنه فى حالات سئلت الفتاة عن رغبتها فى الزواج . وفى دراسة مختصرة كهذه ، كان لا بد من ذكر الاتجاه العام ، وبعض الاستثناءات .

(٢) هناك أحداث ، كانت تمثل ظاهرة عامة ، اختفت تدريجياً . وعلى سبيل المثال ظاهرة تعدد الزوجات ، اختفت تماما فى أواخر العهد القديم .

(٣) رغم أن السيد المسيح لم يأت لينقض ، بل ليكمل (متى ١٥ : ١٧ ، ١٨) ، إلاّ أن هذا يدفعنا أن ندرس ، ماذا الذى لم ينقضه المسيح ؟ لا شك أنه لم يوافق على تعدد الزوجات ، ولا شك – أيضا – أنه لم يوافق على حرية الطلاق . سندرس بأكثر تفصيل ، بعض هذه الأفكار ،

عندما نتعرض لدراسة فكر السيد المسيح ، ومقام المرأة فى نظره .

فإن كانت الشريعة اليهودية ، قد فضلت الولد على البنت فإن هذا — ولا شك — لا يتفق مع تعليم السيد المسيح . وإن كانت الشريعة اليهودية دعت إلى نجاسة الأم بعد ولادة البنت أو الولد فهذا ايضا تعليم لا يثبت . فإن كانت مريم العذراء قد نفذت هذه الوصية (لوقا ٢ : ٢٢ — ٢٤ ، ٢٧ ، ٢٩) ، فقد كان هذا إكمالا للناموس . فإن السيد المسيح اعتمد من يوحنا المعمدان إكمالا للناموس ، ولم يكن هو بحاجة إلى معمودية لغفران الخطايا . إلا أنه أراد أن يكمل مطاليب الشريعة التى كانت قائمة فى عهده .

(٤) إن بعض التعاليم ، كشريعة العذرة (غشاء البكاره) ثبت علميا أنها لا تدل على شيء . فقد كان المنديل (أو الثوب) الملطخ علامة طهارة الفتاة (تثنية ٢٢ : ١٣ — ٢٤) . أما دخول « الداية » أو أى وسيط ، فكان بسبب أن الزوج أحيانا يدخل الى زوجته فى ليلة الزفاف ، ثم يتهمها بأنها مارست الجنس قبل الزواج . لذلك كان دخول الوسيط أساسا لحماية شرف المرأة وسمعتها (تثنية ٢٢ : ١٣ ، ١٤) . ولا زالت والدة العروس فى بلادنا حتى اليوم تأتى فى اليوم التالى للزفاف تسأل ابنتها عن الدم لكى تتأكد من أن هذه المشكلة غير قائمة .

لقد تضخمت مشكلة « العذرة » عبر سنوات طوال من تاريخ البشرية . خاصة وان المرأة كانت موضع الاتهام ، لذلك فان المرأة حتى لو كانت متأكدة أنها لم تمارس الجنس قبل الزواج — فإن مجرد إحساسها بأنها موضع الامتحان ، يثير توترها .

أما وقد تغير الوضع ، وتغيرت نظم المجتمع ، وتطور العلم فأصبحنا ندرك الكثير عن عذرة المرأة ، فقد صار من الواضح أننا — يجب أن

نغير أفكارنا إزاء هذا الموضوع . فالنساء يختلفن : فمنهن من لها عذرة ، ومنهن من تكون عذرتها ضامرة . وأحيانا تهتك طفلة عذرتها وهى ولا تدرى . وهناك عذره تبقى رغم ممارسة الجنس . وهناك عذرة رقيقة جدا ، تتمزق دون ظهور دماء . وهناك عذرة تسيل الدماء منها عند تهتكها ، وهناك عذرة سميكة جدا ، لا يمكن تحقيق الممارسة الجنسية إلا بعد إجراء عملية جراحية لتهتكها . كما توصل العلم إلى عمل غشاء صناعي فى حالة عدم وجوده مما يخدع الزوج . لذلك فالعذرة ليست أبداً دليلاً على وجود أو عدم وجود علاقة جنسية قبل الزواج . ولو أن الناس لم يعطوه هذا الاهتمام لقل التوتر الذى يحدث ليلة الزواج الأولى .

(٥) كان الوحى الإلهى متدرجا . تعامل فى الأول مع الإنسان ، بعد أن دعاه للخروج من مجتمعات وثنية . وقد سمح الوحى للإنسان بتصرفات معينة ، فى ضوء خبرته ورؤياه المحدودة حتى جاء كمال الإعلان ، فى شخص يسوع المسيح . فقد سمح موسى مثلا بأن يطلق الرجل زوجته ، حتى جاء السيد المسيح ، فنفى حق الرجل فى ذلك واضعا « الزنى » سببا أوحد للطلاق . كما سمح العهد القديم بتعدد الزوجات ، حتى جاء المسيح ، وكان التركيز على زواج واحد بواحدة فقط .

أن مقاصد الله الأساسية ، قد ظهرت فى « قصة الخلق » ، حيث أننا نشهد الاسس الالهية فى هذه القصة . فإن كانت الشريعة الموسوية (لموسى النبى) وما بعدها قد سمحت بالخروج عن بعض مقاصد الله ، اما لعدم إدراك الشعب فى تلك الأيام أو لقساوته ، او لمسايرة الظروف الاجتماعية عبر العصور المختلفة ، الا أن المقاصد الإلهية عادت الى الاكتمال فى المسيح . ومع ذلك ، فإن العهد القديم ، ظهرت عبر أحداثه ، المقاصد الأساسية لله فى الخليقة ، وإن كانت جميعها لم تتحقق ، حتى أعلنت واضحة فى شخص المسيح يسوع عند مجيئة الأول .

ثالثا

المرأة فى عصر السيد المسيح



مصـــدر الدراســة

لكى ندرس موقف المرأة فى نظر السيد المسيح ، فإننا ندرس ذلك من خلال الأناجيل الأربعة ، فهى المصدر الأول الذى يوضح لنا هذه الحقيقة . ولما كان المسيح يقدم تعاليم مباشرة – فى بعض الأوقات ، إلا أنه كان فى تصرفاته ومواقفه يقدم قدرا وفيرا من الفكر لذلك فإننا نعود إلى حياة السيد المسيح ، كما ذكرها الإنجيليون الأربعة لنكتشف منها إرادته وتعليمه .

موقف اليهود إزاء المرأة فى عصر المسيح

لكى نتمكن من فهم موقف السيد المسيح من المرأة ، يلزم لنا أن ندرس باختصار موقف المرأة فى المجتمعات اليهودية واليونانية والرومانية التى كانت سائدة فى عصره . هذه الدراسة تعاوننا – ولاشك – على إدراك اتجاه المسيح نحو المرأة .

نحن نشير إلى مرحلة « ما بين العهدين » وهى مرحلة غير موجودة فى كتاب العهد القديم . فإن التطور الفكرى الذى كان سائدا فى فترة « ما بعد العهد القديم » كان يمثل وجهة نظر اليهود فى العصر الذى عاشه المسيح . كان المشنا والتلمود معدين فى القرن الثانى إلى السادس بعد الميلاد . وهما يمثلان وجهة نظر اليهود فى هذه المرحلة .

تحدث التلمود عن النساء . أنهن أقل مركزا من الرجل ، غير قابلات للتعليم . تحدث المشنا عن نصيحة كانت للرجال : « لا تتكلم كثيرا مع المرأة » . الرجل صاحب السلطة ، والدور الحقيقى للمرأة فى البيت . يسجل التلمود بعض مهام للنساء ، لكنه لا يذكر كثيرا عن دورها فى المجتمع . هاجم ريبـون ـ فى هذه المرحلة ـ دور دبـورة وخلـدة النبيـة . ما بين القرن الثـالث

والسادس بعد الميلاد ، صارت عادة المرأة اليهودية أن تضع الشال على رأسها .

تحدث المؤرخ « يوسيفوس » عن المرأة فى عصر المسيح ، فذكر أن المجتمع اليهودى عاملها على أنها أقل من الرجل وذكر أن وضع الشال على الرأس أيام القرن الأول الميلادى كان شائعا بين النساء .

تحدث « المشنا » عن حالات طلاق دون إعطاء تعويض للمرأة المطلقة . الا أن الممارسة كانت تحتوى حريات محدودة . يشير سفر المكابين الى أن بقاء المرأة فى بيتها كان علامة الطهارة ، مع ذلك خرجت النساء الى الحقول والدكاكين وظهرت فى المجتمع .

كانت المشكلة الكبرى التى تحكم المجتمع اليهودى فى تلك العصور ، هى التجربة الجنسية . فان يشوع بن سيراخ (٢٠٠ ق . م .) الذى دعا الى إعطاء تقدير عال للمرأة ، وذكر أن المرأة تصنع الرجل ، دعا إلى حفظ البنات فى البيت خوفا من السقوط .

أما المركز الدينى للمرأة فى فترة ما بين العهدين ، فكان محدودا . كان للنساء مكان خاص فى الهيكل للجلوس فيه . كان حضور النسوة للعبادة للاستماع فقط ، بينما كان حضور الرجال للتعليم . ولذلك لم يكن حضور المرأة إجباريا .

كان للمرأة حرية أكبر لحضور المجامع ، وهى مراكز العبادة المحلية ، أكثر من الهيكل . فإن ذهبت للهيكل كان مكانها فى رواق النساء . وكان من المفروض أنها لا تذهب للعبادة أثناء العادة الشهرية فهى فى حالة الحيض نجسة . وعند تقديم الذبيحة كان التساؤل : هل تضع يدها على رأس الذبيحة ؟ أم أنها ترفع القطع ؟

موقف اليونان والرومان إزاء المرأة فى عصر المسيح

بعد السبى البابلى ، عاد اليهود الى أرض الوطن ، أرض الموعد ، فى حالة ضعف وفقر شديدين . وجاءت سيطرة روما عليهم ، عندما نشرت الفكر الرومانى والإغريقى ، الذى تغلغل فى مجتمع الفكر اليهودى ، لذلك كان لزاما علينا أن نرى مركز المرأة فى المجتمعات الرومانية واليونانية .

قبل السيد المسيح بثلاثة قرون ، ظهر التبادل الثقافى لدول البحر الأبيض المتوسط . وقد كان لانتصارات الاسكندر الاكبر (٣٣٠ ق . م .) دور كبير فى ذلك . ربطت هذه الثقافات بين الدول ما بين اليونان والهند ومصر ، ومنذ القرن الثانى قبل المسيح ، بدأت علاقات سياسية جديدة لهذه الدول حول روما كمركز سياسى وثقافى لذلك عندما جاء السيد المسيح ، كان هناك قرنان على الأقل من هذا التبادل الثقافى فى المنطقة .

إنه من الصعب أن نضع مواصفات عامة لحقبة طويلة من الزمن . لكننا نحاول أن نأخذ لقطات تعبر عن الصراع الذى شمل المنطقة والاتجاهات العامة ، قدر المستطاع .

عاش المجتمعان اليونانى والرومانى مرحلة تطور بالنسبة لمركز المرأة . كانت وجهة الطرفين الى اعطاء المرأة مزيدا من الحرية . آلهة اليونان والرومان كن بأسماء نساء : آلهة الحب والجمال « فينوس » وآلهة البيت « فستا » vesta وآلهة الحكمة ، « جونو » Juno ، زوجة جوبتار وأم مارس . وآلهة الخصب « ديانا » Diana ، وآلهة الأرض والزراعة « كيريس » Ceres وقد انتشرت عبادة آلهة الحب « أفروديت » .

إلا أن العلماء كانوا من الرجال . فقد أغلق على المرأة حتى لا تتعلم وتأخذ

مكانها فى المجتمع . كان المجتمع اليونانى أكثر تقدما من مجتمعات عديدة معاصرة له . كان الرجل هو السيد قانونا ، وفى نظام المجتمع . المرأة تخرج من سلطان أبيها إلى سلطان زوجها . إلا أن « السلطان » هو كان أكرم مستوى من سلطان الحريم فى مجتمعات أخرى فى عصر المسيح .

« أفلاطون » الفيلسوف اليونانى دعا إلى مساواة المرأة بالرجل ، وبتعليمها وإعطائها أعلى وظائف الدولة . غير أن « أرسطو » وهو فيلسوف آخر ، دعا الى الإقلال من مركز المرأة عن الرجل ، مما يرينا الصراع الذى كان قائما عند الفلاسفة .

وفى عصر الاسكندر الأكبر ، أخذت المرأة حرية أكبر ، خاصة فى مناطق مكدونية ، حيث سمح للنساء بالدخول إلى العبادة والاشتراك فيها ، أو الاشتراك فى الأندية الاجتماعية والرياضية ، وفى الألعاب الأوليمبية . كما أعطيت حرية للتعامل مع الرجال .

شاركت المرأة حرية الرجل تدريجيا . وكانت « ليديا » ، وهى يهودية يونانية ، صورة من هذه الحرية المحدودة . نساء إسبرطه ، كن أول من تحررن فى مجتمع اليونان . ظهرن فى المجتمع فى الألعاب الرياضية ، بهدف تقوية أجسادهن ، لإنجاب نسل أقوى . سمح للمرأة بأن تعلم نفسها فى البيت . إلا أنه حتى عصر السيد المسيح ، لم تكن المرأة الإغريقية تأخذ مكانها فى الدولة أو المجتمع .

كانت الجنسية المثلية Homosexuality منتشرة فى المجتمع اليونانى . كانت الزوجة للنسل ، وللزوج حريته الجنسية خارج الزواج . أما فى روما القديمة ، فقد كانت المرأة ملكا للرجل ، وتحت سيادته . بدأت المرأة الرومانية تطالب بحريتها فى ٣٣١ ق . م . وخلال الفترة التالية لذلك قامت بعض النسوة بقتل

أزواجهن بالسم ، إعلانا لحريتهن . وفى عام ٢١٥ ق . م . صدر قانون رومانى يطالب بعدم تملك المرأة للذهب لأكثر من نصف أوقية ، إلا أن الصراع لتحرير المرأة كان مستمرا . حتى حصلت المرأة الرومانية على مزيد من حريتها .

انه فى المجتمعين (الرومانى واليونانى) ، كان للمرأة كرامتها داخل البيت . كانت تحمل مسئولياتها ولها قيمتها الذاتية داخل الأسرة . النساء الثريات فى روما تعلمن ــ كان الطلاق أيسر وكذلك الجنس . الزواج السياسى أساء إلى الأوضاع . فى البيئات المتواضعة كان للزوجات دورهن الأكبر . برقع الوجه لم يكن عاديا فى اليونان وروما ، لكن الشال ربما كان يستخدم . الجنسية المثلية لم تكن مقبولة فى روما .

نخلص من هذا أن المجتمعين اليونانى والرومانى ، أيام السيد المسيح ، كانا يحتفظان بقيود على المرأة وبشيء محدود من الحرية . بينما كان المجتمع اليهودى أكثر تشددا على المرأة . بل إن اليهودية تشددت فى التعامل مع المرأة ، وفى إعطائها مكانتها فى فترة ما بين العهدين ، أكثر من ذى قبل .

موقف السيد المسيح من المرأة

جاء السيد المسيح ، فى هذا المجتمع .. وقد واجه المسيح مواقف وتحديات تعتبر أكبر ثورة اجتماعية ودينية لصالح المرأة . إن القيم الايمانية والروحية لها طابعها الروحى والاجتماعى ، وهى ــ ولا شك ــ تؤثر على معيشة الأسرة والمجتمع بكل كياناته .

لم يضع السيد المسيح « قوانين » ، و« شرائع » ، فلم يكن هذا هدفه ، لكنه وضع « مبادىء و« قيما » تظهر عن طريق تصرفاته ومعاملاته ، يمكننا أن

نكتشف خلالها الدور الحقيقى الذى أراده المسيح للمرأة .

ولعل الظاهرة الواضحة ، هى أن المسيح أراد أن يعيد القيم ، التى أرساها الله فى الخليقة (تكوين ١ ، ٢) لتكون للتعليم . فإنه منذ دخول الخطية (تكوين ٣) تعثرت كثير من القيم .

لذلك ، فإننا من خلال تعاليم السيد المسيح ، وتصرفاته يمكننا أن نكتشف القيم والمبادىء التالية التى أراد أن يرسيها :

(١) المـرأة إنســان

لم تشهد حياة السيد المسيح شيئا يقلل من شأن المرأة ، أو يحد من حريتها ، أو يعيق عملها ، كما أنها لم تشهد شيئا يقلل من إنسانيتها ، أو من قيمة أنوثتها .

ولعل موقف السيد المسيح مع السامرية عند البئر ، كان مثيرا . فقد دهش التلاميذ أنه « يتكلم مع امرأة (يوحنا ٤ : ٢٧) » : فإن الاعتراض الرئيسى كان – لمجرد حديثه إلى امرأة كإنسان عادى فى المجتمع ، مما كان غير متعارف عليه . وبل إن حديث رجل إلى إمرأة كان يقلل من شأن الرجل . ولم يكن السيد المسيح يكترث برأى الناس فى هذا الشأن . أشفق المسيح على المرأة ، وتجاوب معها . أشفق على أرملة نايين وأقام ابنها ، شفى حماة بطرس ، شفى امرأة داخل الهيكل (لوقا ١٣ : ١٠ – ١٧) . عامل المرأة كما عامل الرجل ، بمساواة كاملة دون فرق . إنه الذى وضع مبدأ « كل ما تريدون أن يفعل الناس بكم افعلوا هكذا انتم ايضا بهم (متى ٧ : ١٢) ، كان لا بد أن يمارس هذا المبدأ فى علاقة الرجل والمرأة .

وعندما تحدث المسيح ، على أن دعوته للملكوت السماوات تثير الأم ضد حماتها . كان يتحدث عن أن اولئك النسوة اللائى - بسبب الإيمان بالمسيح - يدخلن فى خلاف مع أقرب الناس اليهن . ولعله كان يقصد من وراء ذلك ، أن المرأة المسيحية ، ذاتية مستقلة ، تعبر عن رأيها ، فى شجاعة ، دون الخضوع لسلطان آخر عليها .

(٢) حرر المرأة من سلطان الرجل الظالم

كان اليهود - فى عهد المسيح - يصرحون بالطلاق لأتفه الأسباب . فإن هليل (معلم يهودى) كان يسمح بالطلاق إن أفسدت المرأة الطعام ، وشماى (معلم يهودى أيضاً) سمح به فى حالة حدوث شيء مخل ، وهناك من سمح به فى حالة رؤية الرجل لامرأة أخرى يستحسنها .

نادى المسيح بعدم السماح للرجل أن يطلق امرأته الا لعلة واحدة وهى الزنى . وبذلك حرر المسيح المرأة من سلطان الرجل الذى كان يطلقها لأتفه الأسباب . وكان قرار المسيح بعدم الطلاق حماية للمرأة من عبث الرجل ، واستقرارا للأسرة (متى ٥ : ٢٧ ، ٣٢) .

إن شريعة الطلاق (تثنية ٢٤ : ١) كانت بسماح من موسى ، فإن الله يكره الطلاق ، وكانت أحاديث المسيح عن الطلاق (متى ١٩ : ٣ - ١٢ ، ومرقس ١٠ : ١١ ، ١٢) ضابطا من الانحلال . وكانت القيمة هنا متساوية للرجل ، والمرأة : « فقال (المسيح) لهم : « من طلق امرأته وتزوج بأخرى ، يزنى عليها ، وإن طلقت امرأة زوجها ، وتزوجت بآخر تزنى (مرقس ١٠ : ١١ ، ١٢) .

بهذا أراد السيد المسيح أن يثبت قيم الأسرة ، وعلاقة العهد التى تربط الاثنين ، فإن رغبة التحرر من الطرف الآخر ، لوجود شخص يريد أن يرتبط به ـ وهو ما قبله المجتمع فى ذلك العصر ، دمغه المسيح بالزنى .

وجدير بالذكر أن المسيح وهو يتحدث عن « امرأة تطلق زوجها (مرقس ١٠ : ١٢) ، ولم يكن معتادا فى تلك الأيام فقد كان من حق الزوج أن يقوم بالتطليق ، لا الزوجة . فإن المسيح كان يتحدث عن « الإرادة » على أنها ذات الفعل . فإن أردات الزوجة التطليق ، وجعلت الدنيا مظلمة فى وجه زوجها ، فطلقها ، فاللوم هنا على المرأة .

وقد أراد المسيح ، أن يعيد العلاقة إلى ما كانت عليه قبل دخول الخطية ، رجل واحد وأمرأة واحدة ، متساويين فى المكانة ، متعاونين فى الرسالة والعمل ، يحرصان على حياة الزوجية كل العمر . بل إن الموقف الصارخ للسيد المسيح ، كان موقفه من الزانية ، التى اجتمع حولها رجال اليهود يريدون رجمها . فصاح فيهم : « منم كان منكم بلا خطية فليرمها أولا بحجر » . كان المسيح يريد تحقيق العدالة . لماذا ترجم الزانية ولماذا لا يرجم الزانى ؟ أليس الزنى خطية متشابهة ومتساوية مع كافة الخطايا الأخرى ؟ ولما كتب المسيح على الأرض خطايا الرجال الذين حملوا الأحجار للرجم ؟ أثار أكبر تحد ، دافع فيه عن المرأة . ثم قال لها : « أما دانك أحد ؟ « فقالت له ، » وقد شاهدت الرجال قد انصرفوا : « لا أحد يا سيد » . فقال لها : « ولا أنا أدينك ، إمضى بسلام » .

بل إن حديث المسيح عن « الشهوة » ، كان توجيه اللوم للناظر . فمن نظر إلى إمرأة ليشتهيها ، فقد زنى بها فى قلبه . فقد كان المجتمع اليهودى يتجه دائما باللوم إلى المرأة ، أما المسيح فقد اتجه باللوم إلى الرجل

(متى ٥ : ٢٧ ، ٢٨) . ولم يقبل المسيح التطبيق على المرأة ، أو اخفاءها ، لتفادى شهوة الرجل . فإن الرجل ملتزم بالانضباط قدر التزام المرأة بالانضباط . لذلك وجه السيد المسيح تهمة « الشهوة » للرجل ، بنفس القدر الذى توجه به التهمة للمرأة .

كان المسيح ينتقى قصصه بكل دقه . وكان لكل قصة أعماق بعيدة المدى . وكانت القصة التى حكاها عن المرأة المظلومة وقاضى الظلم ، تحوى معانى شامخة . فإن المرأة لم تكن تطلب إلا حقها الشرعى ، وقد احتقرها القاضى ، ولم يكترث بها . ألحت عليه ، وكررت الإلحاح ، وواصلت فى طلب حقها دون صمت حتى أعطاها حقها . ويذكر المسيح أن القاضى ، كان ظالما ، لم يعطها حقها ، إقرارا للعدالة ، إلا بعد إلحاحها المتكرر . وامتدح المسيح الإلحاح فى سبيل الحصول على الحق .

تصرفات السيد المسيح ، كانت ثورة صارخة على التقاليد الاجتماعية ، السائدة فى عصره . إن القيم الروحية ، تؤثر ولا شك على الحياة بكل مشتملها ، لذلك كان لا بد من إقرار الحق والعدالة ، وإعطاء المرأة مكانتها .

(٣) سمح المسيح بتعليم المرأة

كان اليهود لا يصرحون للمرأة الا بالتواجد فى الدار الخارجية أو رواق النساء . قد أحس المسيح بإنسانية المرأة ، وبكونها عنصر حى فى شعب الله . لذلك سمح لها بالحضور إلى تعليمه ، وبالتعليم منه ، لتتمكن من المشاركة الفعالة والإيجابية

فى عمل الرب .

عندما علم المسيح الجماهير ، سمح للنساء بالحضور والتعلم . فإن متّى الإنجيلى يكتب (١٤ : ٢١) إن الآكلين « كانوا نحو خمسة آلاف رجل ما عدا النساء والاولاد » . فإن المسيح أراد أن يعطى « المرأة » و« الطفل » فرصة كاملة للتعلم الدينى . بل إن مريم ، اختارت النصيب الصالح ، بجلوسها عند قدمى المعلم ، والتتلمذ على يديه (يوحنا ١١ : ١) . فمستوى التلمذة للمرأة والرجل على حد سواء . وبذلك تعلمت النسوة من السيد المسيح شخصيا فى جماعات ، أو على انفراد .

أعطى الله النساء وزنات كما أعطى الرجال (متى ٢٥ : ١٤ – ٣٠) ، سمح للمرأة أن تتعلم – ولا تكون مجرد مستمعة – بل أن تأخذ دورها بالكامل ، كالرجل ، لقد قدر المسيح قدرة المرأة الانسانية والعقلية .

(٤) المستوى الروحى للنسوة

تسجل لنا الأناجيل صوراً رائعة عن قمم المستوى الروحى من النساء . ولعلنا نبدأ بالعذراء مريم ، أم المسيح . فقد ظهر لها الملاك (متى ١ : ١٦) وأعطاها الرسالة . وقد كان خضوع مريم العذراء لله رمزا للمرأة التى عاشت على قمم الحياة الروحية . فهى « أمة الرب » ، خاضعة له ، طائعة لوصاياه (لوقا ١ : ٣٨) . لذلك ، كانت مريم مباركة فى النساء (لوقا ١ : ٢٨) . وفى الأناجيل سجل كثير من النساء اللائى ، أخذن رسالة الإنجيل من المعلم : السامرية ، مريم أخت مرثا ولعازر وغيرهن كثيرات . وهناك كثيرات ، كن يخدمن من

أموالهن : يونّا امرأة خوزى ، وكيل هيرودس ، وسوسنة وأخريات (لوقا ٨ : ٣) » . من هؤلاء النساء من كن قد شفين من أرواح شريرة وأمراض . مريم التى تدعى المجدلية ، التى أخرج المسيح منها سبعُة شياطين (لوقا ٨ : ٢) ، والمرأة الخاطئة ، التى قال عنها السيد المسيح : « قد غفرت خطاياها الكثيرة ، لأنها أحبت كثيرا . والذى يغفر له قليل يحب قليلا (لوقا ٨ : ٤٧) » .

المرأة الكنعانية ، التى طلبته لشفاء ابنتها المجنونة ، طلب تلاميذه ان يصرفوها فأجاب وقال : « لم أرسُل إلا إلى خراف بيت اسرائيل الضالة (متى ١٥ : ٢١ – ٢٤) . وقد أقام السيد المسيح حوارا معها إذ رأى عظمة إيمانها .

وكان دور المسيح مع « نازفة الدم » دورا خاصا . فإن النزيف الدموى للمرأة كان يوصف لدى اليهود بالنجاسة . وقد سمح لها المسيح بأن تلمسه . وقال لها : إيمانك قد شفاك (متى ٩ : ٢٠ – ٢٢) .

ولعلنا نلاحظ أن القصص التى استخدمها المسيح فى تعليمه ، أخذ بعضها من حياة المرأة . فذكر قصة المرأة التى خبأت الخميرة ، وتلك التى أضاعت الفلسين وذهبت تفتش عنهما وذكر قصة المرأة وقاضى الظلم .

(٥) قبل المسيح اتّباع المرأة له

لم تكن العادة لربى يهودى أن يسمح لامرأة باتباعه ، كما كان يرفض الحديث إلى امرأة إلا ان إتباع النسوة المسيح ، لم يكن لمجرد الاستماع ، بل للتلمذة . لقد تبع النسوة المسيح مؤمنات به ، قادرات على صنع

مشئية الله ، وطاعة السيد قال السيد المسيح : لأن من يصنع مشيئة أبى الذى فى السموات ، هو أخى وأختى وأمى (متى ١٢ : ٥٠) » . « أمى واختى ، هم الذين يسمعون كلمة الله ، ويعملون بها (لوقا ٨ : ٢١) » . وقد ادرج المرأة كالرجل ، فى الاستماع إلى تعليمه ، والإيمان به . بل إن النسوة رافقن المسيح فى سفراته ، متزوجات كن أو عزباوات (لوقا ٨ : ١ - ٣) .

(٦) قبل المسيح خدمة المرأة

فهناك المرأة التى سكبت عليه قارورة الطيب ، وذكر أن هذه المرأة يسجل اسمُها فى سجل الخالدين . بل إن كثيرات كن يخدمنه من أموالهن (لوقا ٨ : ٢ ، ٣) .

خدمت مرثا السيد المسيح وكانت تعد له الطعام ، حماة بطرس قدمت له الطعام ، مريم أخت مرثا ولعازر تعبدت له .

النسوه تبعنه عند الصليب (متى ٢٧ : ٥٥ ، ٥٦) ، وكن أول من ذهب الى القبر فى فجر القيامة .

(٧) تلاميذ المسيح ورسله

كان المسيح يعلم أن أعماله خطوة على طريق طويل . وكان يقدّر أن أدوارا معينة لا يمكن تحقيقها دفعة واحدة ، لكنها تحتاج للزمن . كما كان يدرك أن التأثير على المجتمع الأكبر المحيط به يحتاج للتحفظ . لذلك عندما اختار تلاميذه الاثنى عشر اختارهم كلهم من الرجال وكذلك الرسل .

لقد كان المجتمع اليهودى يرفض شهادة المرأة . وكان على التلاميذ أن يشهدوا لقيامة المسيح . فقد كان من المهم لتحقيق الرسالة الا يضع العراقيل التى تعيق الشهادة الكاملة .

إنه رغم أن السيد المسيح ، قبل شهادة المرأة ، فقد كانت السامرية – مثلا – نموذجا واضحا كذلك ، إلا أنه عند تعيين أشخاص فى مهمة رسمية ، إختار الرجال فى الوظائف الرسمية ، حتى لا تعاق الخدمة فى مجتمعات اليهود واليونان والرومان .

تعليق ختامى

لقد رفع السيد المسيح قدر المرأة ، فى أيام لم تكن تقبل هذا الدور ، ورد لها كرامتها ، كإنسان خلقه الله على صورته . دفعها الى الحياة والمجتمع ، شجعها على العبادة ، وسمح لها بالخدمة . واعتمد عليها فى مهام عديدة . حررها من سلطان الرجل ، وساوى بينها وبين الرجل فى الدور الروحى . واجه المسيح انتقادات وهجوما ، لم يكترث بها . كان السيد المسيح حريصا على أن يعيد المرأة والرجل إلى الوضع الذى خلقهما الله عليه منذ بدء الخليقة .

والمقصود « برفع قدر المرأة » ، أنه أعادها إلى قصد الله فى الخليقة بالنسبة لها ، لتكون مساوية للرجل . ولهذا فإن دور المسيح ، كان ثورة على الظلم الاجتماعى ، الذى دخل الخليقة منذ جاء السقوط (تكوين ٣) ، حتى مجيئه على الأرض .

كان هذا الاتجاه رائدا للرسل وللتلاميذ ، ثم للكنيسة فيما بعد . فإن أسلوب السيد المسيح فى التصرف مع المرأة ، هو المحور الرئيسى الذى يدور عليه التعليم .

رابعـــا
المرأة فى كنيسة العهد الجديد

مصــادر الدراســة

عندما نتحدث عن « المرأة » فى كنيسة « العهد الجديد » ، نحن نستثنى من ذلك ، المرأة فى رأى السيد المسيح . فقد أفردنا فصلا خاصا عن المرأة فى رأى السيد المسيح ، وما أراده المسيح لها .

وفى هذا الفصل ، نحن نريد أن نرى تعليم السيد المسيح عن المرأة ، بينما تواجه الكنيسة المحنة الكبرى ، فى صراعها مع مجتمعات متنوعة ومتعددة العادات والتقاليد والتراث . إن الفكر اللاهوتى والكتابى ، عندما يتصارع مع الحضارات اليهودية واليونانية والرومانية ، فى عصر القرن الأول الميلادى ، نجده يحاول أن يتدرج مع المجتمع ، لتطويره مع الاحتفاظ بالقيم الإيمانية الأساسية ، دون التنازل عنها .

من هذا المنطلق كان لزاما علينا ، أن نتحدث فى هذا الفصل عن دور المرأة فى العهد الجديد ، وقد أفردنا فصلا خاصا ، عن رأى الرسول بولس . لنعالج الأفكار والقضايا التى واجهها الرسول بولس فى رسائله ، بدراسة خاصة . ونحن فى دراستنا للعهد الجديد ، لابد أن نتعرض لفكر الرسول بولس ، الذى نضطر للتعرض له مرة أخرى فى الفصل القادم .

إننا من خلال صراع الفكر اللاهوتى مع الحضارات القائمة ، نكتشف الطريق الذى يعاوننا فى دراسة المجتمع العربى فى القرن العشرين .

المــرأة والمجتمع

إهتم العهد الجديد ، بنشر رسالة مجىء السيد المسيح إلى العالم ، صلبه ، وموته وقيامته ، وصعوده . كما اهتم بالتنبير المركّز على التعليم اللاهوتى النابع من

تعليم السيد المسيح ، ومطابقة التعليم على القضايا الفكرية ، والمشكلات التى واجهت انتشار المسيحية . كان ذلك واضحا ، فى أن العهد الجديد — فيما عدا الاناجيل الاربعة التى كتبها الانجيليون متى ومرقس ولوقا ويوحنا واعمال الرسل — يتكون من « رسائل » الى الكنائس التى أُنشئت . وكانت كل رسالة ، تحتوى على الفكر والتعليم فى مواجهة هذه الموضوعات . هذه الرسائل ، رغم أنها كتبت ، للكنائس المستحدثة فى عصرها ، لها رسالة لنا . فهى تحتوى على المفاهيم اللاهوتية ، والقيم السلوكية ، للمعانى الحياتية ، لنا نحن أبناء القرن العشرين .

من هذا نرى ، أن الكاتبين ، كتبوا ، مسوقين من روح الله ، وهم يناقشون قضايا عصرهم ، ويسجلون بالوحى ، ما يلزم لكل العصور .

إن التركيز الكبير ، فى العهد الجديد ، على التعليم ، كان هاما ، كى « لا نكون فيما بعد اطفالا — مضطربين ، ومحمولين ، بكل ريح تعليم ، بحيلة الناس بمكر ، إلى مكيدة الضلال (افسس ٤ : ١٤) » . ولكى تتعلم الكنيسة كيف يجب أن تتصرف فى بيت الله ، الذى هو كنيسة الله الحى ، عمود الحق وقاعدته (تيموثاوس الأولى ٣ : ١٥) » .

نتج عن ذلك الاتجاه ، أن البعض ظنوا ، أن الوحى أهمل الجانب الاجتماعى والدولى ، الذى كان التركيز عليه فى العهد القديم تركيزا أكبر . الواقع أن ذلك غير مقصود . فإن العهد القديم لم يبطل ، بل أكمل (متى ٥ : ١٧) .

والإكمال هنا ، له مفهوم أشمل . فقد تطور الاتجاه من نظام « الشرائع » إلى كون الإيمان يتمركز فى شخص ، هو شخص المسيح يسوع . وتحولت المفاهيم من « طاعة شرائع » ، فيها ما هو محلل ، وما هو محرم ، إلى « طاعة السيد » .

وطاعة السيد تدور حول « قيم » ، صنع هو مبادئها ، وترك للمؤمنين حق إدراكها وفهمها ، فى مواجهة الظروف والتحديات التى يواجهونها .

إلا أن الإكمال ، لم ينف دور الله ، ربا للخليقة كلها ، وسيدا للعالم كله . إن الله يهتم بالمسكونة ، وبالساكنين فيها ، ويهتم بالمجتمع كمجتمع ، وبالأفراد كأفراد . وقلوب الملوك فى يده ، كجداول مياه ، يوجهها – متى شاء – الوجهة التى يريدها (أمثال ٢١ : ١) .

فإن كان العهد الجديد خاليا ، من وجود نظم وشرائع ، تخص المرأة ، كما جاء فى العهد القديم ، فإن العهد الجديد يحتوى على القيم الأساسية ، والمعانى الراسخة لدور المرأة فى المجتمع .

المساواة بين الرجل والمرأة

دعا الرسول بولس إلى مساواة كل الناس ، دون أى نوع من التفرقة العنصرية فإنه « ليس يهودى ولا يونانى ، ليس عبد ولا حر ، ليس ذكر وانثى (غلاطية ٣ : ٢٨) » . فإننا جميعا واحد فى المسيح يسوع . فإن « الرجل ليس من دون المرأة ، ولا المرأة من دون الرجل فى الرب . لأنه كما أن المرأة هى من الرجل ، هكذا الرجل أيضا هو بالمرأة (كورنثوس الأولى ١١ : ١١ ، ١٢) » . أساس هذه المساواة أن الجميع أبناء الله بالإيمان بالمسيح يسوع (غلاطية ٣ : ٢٦) وبالتالى فإن الجميع ورثة الموعد (غلاطية ٣ : ٢٩) ، ووارثون معا نعمة الحياة (بطرس الأولى ٣ : ٧) .

تحدث الرسول بطرس (فى رسالته الأولى ٣ : ٧) عن المرأة كالإناء الأضعف ، ويرد التعبير هنا ، بالمقارنة مع الرجل . وعندما يستخدم عبارة

« الاناء » فهو يتحدث عن « إناء أرق » أو « أدق صنعا » . ويرى البعض أن هذا التعبير ، وليد قصة الخلق ، فإن حواء صنعت من آدم ، بينما صنع آدم من التراب . ولذلك يطلب الرسول إعطاء المرأة « كرامة أفضل » ولا شك ان تعبير « كرامة » يحتوى معنى اجتماعيا وإنسانيا إلى جانب المعنى الروحى . إن احترام جنس « الانثى » كجنس « الرجل » . يحتل مكانة أصيلة فى تعليم العهد الجديد .

الا أن البعض يعتقد أن الرسول بطرس ، يتحدث عن المرأة « كالإناء الأضعف » ، تعبيرا عن « خضوع المرأة » للرجل . ونحن نترك فكرة « الخضوع » هنا ، حيث سندرسها فى الفصل المقبل .

نبر العهد الجديد على دور المرأة وكيانها . فالدعوة لاحترام الأم وتقديرها كانت دائما مرافقة لاحترام الآب . قال بولس : «أطيعوا والديكم فى الرب ، لأن هذا هو حق (افسس ٦ : ١) «وقال أيضا : « أكرم أباك وأمك ، التى هى أول وصية بوعد (أفسس ٦ : ٢) » .

إننا نحس بأن المستوى الاجتماعى للمرأة فى المجتمع الدنيوى ، يترك بصماته على الكنيسة . ففى مكدونية ، حيث تحررت المرأة أكثر من كثير من غيرها – فى عصر الرسول بولس – نجد أن المرأة تأخذ مراكز مرموقة للقيادة الكنسية . وقد كان دور الكنيسة ، فى كل مجتمع ، هو رفع مستوى المرأة فى تلك المجامع درجة أو درجات . فإنه ليس فى مقدور الكنيسة ، أن تنقل المجتمع كله دفعة واحدة درجات عديدة .

زينـــــة المرأة

اهتم العهـد الجديـد بالتنبير على القـيم الروحيـة والإيمانية للمرأة . فتحـدث

الرسول بطرس فى رسالته الأولى (٣ : ٢) عن « سيرة النساء الطاهرة » ، ثم عبر عنها بأنها « إنسان القلب الخفى ، فى العديمة الفساد ، زينة الروح الوديع الهادىء ، الذى هو قدام الله كثير الثمن (٣ : ٤) » .

لقد كان تركيز المرأة على زينتها الشخصية هو اهتمامها الأول . لذلك أراد الرسول بطرس أن يحول الاتجاه ، من الزينة الظاهرية إلى الزينة الداخلية « لا تكن زينتكن الزينة الخارجية ، من ضفر الشعر ، والتحلى بالذهب ، ولبس الثياب (بطرس الأولى ٣ : ٣) » . وقد عبر الرسول بولس عن نفس الفكرة ونفس الاتجاه : « النساء يزين ذواتهن ، بلبس الحشمة ، مع ورع وتعقل ، ولا بضفائر أو ذهب ، أو لآلىء ، أو ملابس كثيرة ، بل كما يليق بنساء متعاهدات ، بتقوى الله ، بأعمال صالحة (تيموثاوس الأولى ٢ : ٩ و ١٠) » . ولعلها نفس الفكرة التى عبر عنها كاتب الأمثال « الحسن غش ، والجمال باطل ، أما المرأة المتقية الرب فهى تمدح (أم ٣١ : ٣٠) » .

إن هذا الحوار يحدد الأولويات . فإن طلب « ملكوت الله وبره » يأتى أولا ، وقبل كل شىء . أما الزينة فتأتى ثانيا . وقد كانت مظاهر الزينة فى المجتمع التى أشار إليها الرسولان بطرس وبولس هى ضفر الشعر ، والتحلى بالذهب واللآلىء ، ولبس الملابس الفاخرة . إن مظاهر الزينة تختلف من مجتمع لمجتمع ، ومن عصر لعصر . فإن ضفر الشعر لا يمثل زينة حضارية فى القرن العشرين . ولا شك أن « شعر المرأة هو مجد لها (كورنثوس الأولى ١١ : ١٥) » . إن زينة المرأة صفة حضارية لا غبار عليها ، ما دامت الزينة لا تعبر عن مظهر أكبر من الحقيقة ، وم دامت الأولوية من حياة المرأة للتقوى على الزينة .

الـزواج والطــلاق

دعا العهد الجديد إلى قدسية الزواج . « ليكن الزواج مكرما ، عند كل واحد (عبرانيين ١٣ : ٤) » .

اهتم العهد الجديد بالتنبير على أن العلاقة الجنسية تتم فى اطار الزواج . فإنه « لا زناة ولا عبدة أوثان ، ولا فاسقون ، ولا مضاجعو ذكور يرثون ملكوت الله (كورنثوس الأولى ٦ : ٩) » .

تحدث العهد الجديد عن علاقة الزوجين ، معتبراً الزوجة ضمن شعب الرب (افسس ٥ : ٢١ — ٣٣ ، بطرس الاولى ٣ : ١ — ٧ ، كورنثوس الاولى ١١ : ٢ — ١٦) . وقد وردت هنا فكرة الرجل كرأس المرأة . وسوف ندرس هذه بأكثر تفصيل عندما نتقدم لدراسة فكر الرسول بولس عن المرأة .

حاول الرسول بطرس أن يعالج مشكلة النساء المؤمنات فى علاقتهن بأزواج غير مؤمنين ، فقال : كذلك ايتها النساء ، كن خاضعات لرجالكن ، حتى وإن كان البعض لا يطيعون الكلمة ، يربحون بسيرة النساء بدون كلمة . ملاحظين سيرتكن الطاهرة بخوف (بطرس الأولى ٣ : ١ ، ٢) » . وكان الحديث دائما عن الخضوع ، أنه خضوع « فى الرب » . فلم يكن الخضوع خضوعا أعمى لمجرد سيادة الرجل ، بل « خضوع مسئول » . ومعنى ذلك أن للمرأة أن ترفض متى كان الأمر يتعارض مع مبادئها وقيمها الإيمانية .

المـرأة والعبـادة

بمجرد صعود السيد المسيح ، وحلول الروح القدس ، بدأ التكوين الكنسى للمؤمنين . وكان مؤمنون ينضمون للرب اكثر ، جماهير من رجال ونساء

(اعمال الرسل ٥ : ١٤) . فالنسوة آمنَّ بالمسيح كالرجال .

وكان يوم الخمسين يوما مشهودا حل الروح القدس على كل المتعبدين رجالا ونساء (اعمال الرسل ١ : ١٤) . وقد اشترك الرجال والنساء معا ، فى الصلاة ، والشركة وكسر الخبز (اعمال ٢ : ٤٢) .

إن مشاركة النساء فى العبادة ، كانت ظاهرة واضحة جدا فى العهد الجديد (اعمال الرسل ١٦ : ١٣ – ١٥ : ٤ ، ١٢ ، ٢٤ ، ١٨ : ٢) .

اهتم العهد الجديد بالتنبير على سيرة النساء ، وسلوكهن حسب الايمان (بطرس الاولى ٣ : ٢ ، ٤) ، (تيموثاوس الاولى ٢ : ٩) .

المــرأة والخدمة

يؤكد العهد الجديد مواهب الروح القدس للرجال والنساء على حد سواء . فإن انسكاب الروح القدس يوم الخمسين على الجميع دون تفرقة . وبالتالى ، فإن مواهب الروح الممنوحة هى للجميع (كورنثوس الاولى ١٢ – ١٤ ، افسس ٤ : ٧ – ١٦ ، بطرس الأولى ٤ : ٧ – ١١ ، رومية ١٢ : ١ – ٨) .

أكد بولس الرسول دور المرأة الروحى فى أقواله : فأنواع مواهب موجودة لكن الروح واحد ، وأنواع خِدَم موجودة ، ولكن الرب واحد ، وأنواع أعمال موجودة ، ولكن الله واحد الذى يعمل الكل فى الكل (رجالا ونساء) – (كورنثوس الاولى ١٢ : ٤ ، ٥ ، ٦) » . فإننا « نحن عمله (افسس ٥ : ١٥ ، ١٦) » .

إن المرأة ـ كالرجل ـ مدعوة أن تكون أمينة على استخدام المواهب (بطرس الاولى ٤ : ١٠) .

إشتركت المرأة فى الجهاد لأجل الإنجيل ، وواجهت الاضطهاد مع الرجال (أعمال الرسل ٨ : ٣) .

وكانت ليديا ، أول أممية تتجدد ، وتؤمن بالمسيح (اعمال الرسل ١٦ : ١٤) . وقد اشترك الرجال والنساء فى الصلاة والشركة وكسر الخبز (اعمال الرسل ٢ : ٤٢) .

واشتركت المرأة فى الخدمة . فالنساء كن يصلين ويتنبأن (كورنثوس الاولى ١١ : ٥) ، فى العبادة الجمهورية . وبنات فيلبس كن يتنبأن (لوقا ١٠ : ١) ، (اعمال الرسل ٢١ : ٩) .

ويحدثنا سفر أعمال الرسل عن أكيلا وبريسكلاّ ، وقد كانا خيامين (١٨ : ٢٢) ، وقد ظهرت تضحيات بريسكلا فى الخدمة (رومية ١٦ : ٣ ـ ٥) وقد كرز اكيلا وبريسكلا بالانجيل لأبولس الاسكندرى ، (اعمال الرسل ١٨ : ٢٤ ـ ٢٦) . وقد أبحر اكيلا وبريسكلا مع الرسول بولس فى رحلته الكرازية (اعمال الرسل ١٨ : ١٨ ، ١٩) .

وقد كانت مشاركة النساء فى الكنيسة الاولى واضحة ، وعلنية ، جنبا الى جنب مع الرجل : فى فيلبى (اعمال الرسل ١٦ : ١٣ ـ ١٥) ، وتسالونيكى الأولى (١٧ : ٤) ، وبيرية (١٧ : ١٢) ، وأثينا (١٧ : ٣٤) ، وكورنثوس (١٨ : ٢) .

وقد ربط الرسول بطرس مكانة المرأة الاجتماعية مع الروحية ، عندما قال : « كذلك أيها الرجال ، كونوا ساكنين بحسب الفطنة ، مع الإناء النسائى

كالأضعف معطين إياهن كرامة أفضل ، كالوارثات أيضا معكم نعمة الحياة ، لكى لا تعاق صلواتكم (بطرس الأولى ٣ : ٧) » . وفى هذا نرى ، أن بطرس الرسول يشير الى المرأة جسديا ، أنها إناء « كالاضعف » . إن معاملة الرجل للمرأة ليست لأنها « أضعف » ، بل « كالأضعف » . وكأنّ به يريد مطالبة الرجال برقة معاملة المرأة والاهتمام بها . ثم طالب الرجال بإعطاء المرأة « كرامة أفضل » ، والمطالبة هنا لإعطاء « كرامة » إنسانية ، إقرار لمكانتها فى المجتمع كإنسان له كيانه ، وقد وضع الرسول أساس التعامل ، إن المرأة « وارثة » لنعمة الحياة كالرجل تماما لا فرق .

وفى رسائل بولس الرسول سجل ضخم عن نساء « جاهدن » لأجل الانجيل (فيلبى ٤ : ٣) (رومية ١٦) وسنعود الى ذلك بأكثر تفصيل فى الفصل القادم .

عندما اجتمع المؤمنون لانتخاب خليفة ليهوذا الاسخريوطى ، تم الانتخاب بين كل المؤمنين والمؤمنات .

وقد ظهرت وظيفة« خادمة » و« شماسة » فى الكنيسة الاولى (رومية ١٦ : ١) ، لقد عاشت الكنيسة الاولى تعاليم السيد المسيح ، وكانت تصارع فى المجتمع القائم فى ذلك الوقت ، لتطبق تعاليم السيد .

تعليق ختامى

كانت حياة المرأة فى كنيسة العهد الجديد ثورة عارمة على النظم المعتادة والمتعارفة عند اليهود أو اليونان والرومان . وقد دخلت المرأة مجال العبادة والخدمة فى العهد الجديد . دعا العهد الجديد الى إقامة مساواة روحية وإنسانية بين الرجل والمرأة بهدف تكامل الرسالة والخدمة . نهج الرسل منهج السيد

المسيح . وكان منهج كنيسة العهد الجديد تطويرا لموقف المرأة فى المجتمع الانسانى كله .

كان أسلوب العهد الجديد متجاوبا مع قصد الله فى الخليقة ، إذ حاول أن يسترد للمرأة مساواتها بالرجل ، إنسانيا وروحيا ، لتحمل مسئوليتها أمام الله ، وحتى لا تتراجع أو تنسحب أو تتردد .

خامســـا
مكانة المرأة
فى تعليم الرسول بولس

تمهيـــد

لقد أفردنا هذا الفصل ، للحديث عن رأى الرسول بولس فى دور المرأة ، ذلك لأن الرسول بولس تحدث عن قضايا فكرية ، وموضوعات ، لابد لنا من دراستها بشىء من التفصيل .

للرسول بولس ، وجهة نظر من شقين ، حتى كأنه يخيل للقارىء أنه يناقض نفسه ، ولا شك أنه يوجد تناقض « ظاهرى » ، يلاحظه القارىء لأول وهلة ، وحتى يدرس بعمق ما يريد الرسول أن يقوله ، يكشف انه لا يوجد تناقض .

أحيانا ، يأخذ القارىء المتحيز ، من أقوال الرسول ، فكرة واحدة ويفصلها عن مضمونها العام ، وظروفها المحيطة ، فيضيع الفكر ، ويفسر الرسول فى أقواله تفسيرا لم يقصده الرسول فى كتاباته .

ولعله — جدير بالذكر — أن الرسول يكتب رسائل إلى مجتمعات : مجتمع كورنثوس ومجتمع أفسس وغيرهما ، كما يكتب الى أفراد يقومون بخدمات معينة مثل تيموثاوس . والرسول يتحدث — مباشرة — إلى مواقف معينة من الخدمة والعمل . لذلك ، كان لا بد لنا ، لكى نفهم المقصود من الوحى المقدس ، أن ندرس المواقف والظروف المحيطة لكى ندرك عمق المعانى المقصودة فى كل حالة .

ولكى ندرس القضايا الفكرية المطروحة ، سندرس فى هذا الفصل كل قضية على حدة ، لكى نكتشف المعنى الواضح فى كل حالة ، ونرى ما يريد أن يقوله الوحى لنا ، من خلال رسائل بولس ، إلى الكنائس والأفراد الكائنة فى عصره .

قضيه المساواة بين الرجل والمرآة

يتحدث الرسول بولس عن المساواة الكاملة بين الرجل والمرأة ، فإن « الرجل ليس من دون المرأة ولا المرأة من دون الرجل ، فى الرب (كورنثوس الاولى ١١ : ١١) . ويتحدث الى أهل غلاطية (٣ : ٢٨) : « لا فرق بين ذكر وأنثى فى المسيح يسوع » . ويؤسس حقيقة المساواة على أساس الإيمان الأقدس الواحد فى الجميع ، دون فرق « لأنكم جميعا أبناء الله بالإيمان ، بالمسيح يسوع ، كلكم ، الذين اعتمدتم بالمسيح قد لبستم المسيح (غلاطية ٣ : ٢٦ ، ٢٧) » . ثم يؤكد : فإن كنتم للمسيح فأنتم إذاً نسل ابراهيم ، وحسب الموعد ورثة (غلاطية ٣ : ٢٩) » .

فإنه فى المسيح يسوع ليس الختان ينفع شيئاً ولا الغرلة ، بل الخليقة الجديدة (غلاطية ٦ : ١٥) . فان التفرقة العنصرية التى خلقتها الخطية ، أصلحها فداء المسيح فى الخليقة الجديدة . لأنه « كما ان المرأة هى من الرجل ، هكذا الرجل أيضا هو بالمرأة ، ولكن جميع الأشياء هى من الله (كورنثوس الاولى ١١ : ١٢) » .

مفهوم « الرأس » فى تعليم الرسول بولس

إن الرسول ، وقد أرسى أسس المساواة ، بين الرجل والمرأة كما ذكرنا ، بانيا إياها على أساس « لاهوتى » يرتبط بفداء المسيح ، واسترداد « الخليقة الجديدة » للإنسان ، رجلا كان أو امرأة ، يعود ويميز بين الرجل والمرأة ، فى حوار يثيره حول فكرة « رأس » الإنسان .

إنه يقول : « إن رأس كل رجل هو المسيح ، وأما رأس المرأة فهو الرجل ، ورأس المسيح هو الله (كورنثوس الاولى ١١ : ٣) » . ثم يعلق على فكرة

غطاء الرأس ، إن الرجل لا يغطي رأسه لأنه مجد الله ، والمرأة تغطي رأسها لأنها مجد الرجل (كورنثوس الاولى ١١ : ٧) ، ويقول : لأن الرجل ليس من المرأة ، بل المرأة من الرجل . ولأن الرجل لم يخلق من أجل المرأة بل المرأة من أجل الرجل (كورنثوس الاولى ١١ : ٨ - ١٠) » . ثم يختم الرسول هذا التعليق التاريخي بقوله : « غير أن الرجل ليس من دون المرأة ولا المرأة من دون الرجل فى الرب ، لأنه كما أن المرأة من الرجل هكذا ، الرجل أيضا هو بالمرأة ولكن جميع الأشياء هى من الله (كورنثوس الاولى ١١ : ١١ ، ١٢) » .

إن الطريقة التى يتحدث بها الرسول فى رسالته الأولى إلى أهل كورنثوس ، الفصل الحادى عشر ، تؤكد لنا أنه يريد أن يثبت الحقيقة اللاهوتية الأساسية ، وهى حقيقة المساواة . لكن الرسول ، أثناء هذا الحديث ، يتعرض لفكرة تاريخية وهى أن آدم خلق أولا ثم خُلقت حواء منه .

ويتحدث الرسول إلى أهل أفسس (٥ : ٢٢ - ٣٣) : « أيتها النساء ، اخضعن لرجالكن كما للرب ، لأن الرجل هو رأس المرأة كما أن المسيح هو رأس الكنيسة ، وهو مخلص الجسد . ولكن كما تخضع الكنيسة للمسيح كذلك النساء أيضا لرجالهن فى كل شيء . أيها الرجال أحبوا نساءكم ، كما أحب المسيح الكنيسة ، وأسلم نفسه لأجلها ... كذلك يجب على الرجال أن يحبوا نساءهم كأجسادهم . من يحب امرأته يحب نفسه . فإنه لم يبغض أحد جسده قط ، بل يقوته ويربيه ، كما الرب أيضا للكنيسة . لأننا أعضاء جسمه من لحمه ومن عظامه ، من أجل هذا يترك الرجل أباه وأمه ويلتصق بامرأته ، ويكون الاثنان جسداً واحداً ، هذا السر عظيم ، ولكننى أقول من نحو المسيح والكنيسة . وأما أنتم الأفراد ، فليحب كل واحد امرأته، هكذا كنفسه وأما المرأة فلتهب رجلها » .

ونحن نشهد هنا نفس الموقف . تحدث الرسول عن « خضوع » المرأة للرجل

مرة واحدة ، ثم تكلم عن « حب » الرجل للمرأة مكررا الفكرة أكثر من مرة ، بأكثر من طريقة وقد بنى الرسول أساس العلاقة على أن الرجل والمرأة جسد واحد ، وأنهما « كيان واحد » فإن مَنْ « يحب امرأته يحب نفسه » .

وهذا يدفعنا إلى أن نعود إلى فكرة الجسد الواحد ، التى تحدث عنها الرسول عندما بنى الأساس اللاهوتى ، أن كنيسة الرب يسوع ، هى جسده .. « لأنه كما أن الجسد هو واحد وله أعضاء كثيرة ، وكل الأعضاء فى الجسد الواحد ، إذا كانت كثيرة هى جسد واحد ، كذلك المسيح أيضا . لأننا جميعا ، بروح واحد أيضا ، اعتمدنا إلى جسد واحد ، يهودا كنا أم يونانيين ، عبيدا أم أحرارا ، وجميعنا سُقينا روحا واحدا ، فإن الجسد أيضا ، ليس عضوا واحدا . بل أعضاء كثيرة . إذا قالت الرجل لأنى لست عينا لست من الجسد ، أفلم تكن من الجسد ؟ لو كان كل الجسد عينا أين السمع ؟ لو كان كل الجسد سمعا فأين الشم ؟ وأما الآن فقد وضع الله الأعضاء كل واحد منها فى الجسد كما أراد . ولو كان جميعها عضوا واحد أين الجسد ؟ فالآن أعضاء كثيرة ولكن جسد واحد . لا تقدر العين ، أن تقول لليد لا حاجة لى اليك ، أو الرأس أيضا للرجلين ، لا حاجة لى إليكما ، بل بالأولى أعضاء الجسد التى تظهر أضعف هى ضرورية ، وأعضاء الجسد التى تحسب أنها بلا كرامة ، نعطيها كرامة أفضل ، والأعضاء القبيحة فينا ، لها مهام أفضل (كورنثوس الأولى ١٢ : ١٢ – ٢٤ » . ونحن نكتشف ، فى مفهوم الجسد الواحد حقيقة المساواة بين الأعضاء ، مساواة القدر ومساواة الأهمية ، وعدم التعالى على بعضها البعض . ويختم الرسول هذا الحديث عن الجسد الواحد بقوله : « لكى لا يكون انشقاق فى الجسد ، بل تهتم الأعضاء اهتماما واحدا ، بعضها لبعض . فإن كان عضو واحد يتألم فجميع الأعضاء تتألم معه ، وإن كان عضو واحد يكرم فجميع الأعضاء تفرح معه (كورنثوس الأولى ١٢ : ٢٥ – ٢٦) » .

وهذا يدفعنا ، أن نعود إلى أقوال الرسول بولس إلى تلميذه تيموثاوس ، فى رسالته الأولى إليه (٢ : ١١ — ١٥) فى حوار الرسول عن موقع الخضوع والسلطة «لتتعلم المرأة ، بسكوت ، فى خضوع . ولكنى لست آذن للمرأة أن تُعلّم ولا تتسلط على الرجل بل تكون فى سكوت . لأن آدم جُبل أولا ، ثم حواء . وآدم لم يُغْوَ ، لكن المرأة أُغْويت فحصلت فى التعدى . ولكنها ستخلص بولادة الأولاد ، إن ثبتن فى الإيمان والمحبة والقداسة مع التعقل » .

إن الرسول يتحدث هنا عن موقع المرأة من التعليم ، والذى سنتطرق اليه فيما بعد . إلا أن الرسول هنا يستخدم نفس المنطلق التاريخى والذى يبنى عليه علاقة المرأة والرجل . فإن آدم خُلق أولا ، وحواء ثانيا . إن حواء أُغوِيت أولا . وهذه حقائق تاريخية .

من حديث الرسول بولس إلى كورنثوس ، وأفسس ، وتيموثاوس ، نستطلع الحقائق الآتية :

(١) ان المقارنات التى يستخدمها الرسول بولس مقارنات نسبية . فإن المقارنة بين « الرجل » من جانب و« المسيح » من جانب آخر ، مقارنة محدودة غير شاملة فإن الرجل يخطىء ، لكن المسيح لا يخطىء.إن رئاسة المسيح للكنيسة شيء يتميز كلية عن رئاسة الرجل . فالمسيح خالق الكنيسة وخالق المسكونة . « فيه خُلق الكل ، فإن السماوات ، وما على الأرض ما يرى وما لا يرى ... الكل به ، وله ، قد خُلق ... وهو رأس الجسد الكنيسة الذى هو البداءة ، بكر من الأموات ، لكى يكون متقدما فى كل شيء (كولوسى ١ : ١٦ — ١٨) » . لذلك لا يمكن أن يكون الرسول قد قصد من المقارنة ، الا مجرد صورة محدودة .

(٢) ان الدليل التاريخى ، على علاقة المرأة بالرجل ، مأخوذ من خلق آدم أولاً ، وبناء حواء من آدم ، وإغواء حواء أولا ، دليل نسبى . فإن الحقائق التى يذكرها الرسول صحيحة . إلا أن الرسول لا ينكر أن آدم – فى خلقه – كان رمزا لكل الخليقة . فقد « خلقه » الله ذكرا وأنثى (تكوين ١ : ٢٧) ، ثم فصل حواء عن آدم (تكوين ٢ : ٢١ – ٢٢) كما أن حواء أغويت أولا وآدم أغوى ثانيا . إن الرسول لا يقدر أن يبرر سقوط آدم ، فإن آدم مخطىء كحواء . كما أن خطية آدم وحواء ، لم تغير العلاقة الإنسانية بينهما ، بينما غيرت العلاقة بينها وبين الله . إن حواء وهى بريئة أغويت ، أما آدم – وقد أدرك الخطأ – سقط . والمسئولية متساوية فى الطرفين .

(٣) الحديث فى أفسس ، يتجه الى علاقة « الزوج والزوجة » ، فهو يتحدث عن الاسرة . أما الحديث فى كورنثوس وتيموثاوس فهو حديث عن العلاقات داخل الاجتماعات وأثناء العبادة . وسنعود للحديث عن دور المرأة فى أماكن العبادة ، فى رأى الرسول بولس .

(٤) علاقة الزوج والزوجة ، فى نظر الرسول بولس ، علاقة الجسد الواحد ، والمساواة على أساس العلاقة الزوجية . فكل عضو فى الجسد ، كما وضع الرسول بولس ضرورى للجسد . بل أن الرسول ، عندما يتحدث عن زوج (أو زوجة) آمن بالمسيح ، ولم يؤمن شريكه ، يقول : « الرجل غير المؤمن مقدس فى المرأة ، والمرأة غير المؤمنة مقدسة فى الرجل ، والا فإن اولادكم جميعا نجسون ، واما الان فهم مقدسون (كورنثوس الأولى ٧ : ١٤) » . إن الرسول يؤكد هنا قدسية العلاقة الزوجية ، رغم اختلاف الإيمان .

(٥) الحديث عن « الخضوع » فى أفسس ، حديث عن ثلاث علاقات ثنائية : علاقة الزوجة بالزوج (افسس ٥ : ٢٢) ، وعلاقة العبد

بالسيد (أفسس ٦ : ٥) وعلاقة الأبناء بالآباء (أفسس ٦ : ١) . بل يمكننا أن نلتقط علاقة رابعة هى علاقة الرعايا بالحكام (أفسس ٦ : ١٢) بل لعلنا نرى أن الرسول بولس يكرر نفس المفاهيم فى رسالته إلى كولوسى ٣ : ١٨ (الزوجة مع الزوج) ٣ : ١٩ ، (الأبناء مع الآباء) ٣ : ٢٠ ثم (العبيد مع السادة) ويتحدث الرسول بنفس المنهج عن علاقة السادة مع العبيد فى رسالته الأولى الى تيموثاوس (١٦ : ١ ، ٢) . ثم يخاطب الرسول كنيسة رومية ، عن العلاقة مع من هم فى السلطة (١٣ : ١ –٧) .

إن الحديث عن العلاقات هنا مختلف تماما . فإن علاقة العبيد والسادة ، علاقة ناشئة عن الظلم الاجتماعى ، فإن تعليم العهد الجديد لا يتفق مغ أساس « عبودية » شخص لشخص آخر . إلا أن نظام العبيد كان قائما فى أيام الرسول بولس ، والعبيد – رجالا ونساء – يحل عليهم روح الله بالإيمان كالسادة لا فرق (أعمال الرسل ٢ : ١٨) . أما علاقة الزوجيين ، والآباء والأمهات فهى تتم بتدبير إلهى للبشر . أما علاقة الرعايا بمن هم فى سلطة ، فهى – أيضا – علاقة تتم بتدبير إلهى (رومية ١٣ : ١) ، إلاّ أن مستوى التدبير الإلهى للأمم يختلف عن مستوى التدبير الإلهى للأفراد .

يحدد الرسول بولس العلاقة ، بأنها علاقة « خضوع فى الرب » . فالخضوع محدود ، بأنه فيم يتفق مع مشيئة الله ، وتعليمه . فإن خرجت العلاقة عن القيم الإيمانية ، كان الخضوع غير مقبول . فقد اشترط الرسول بولس عدم القسوة على النساء (كولوسى ٣ : ١٨) ، كما اشترط عدم اغاظة الآباء للأبناء (كولوسى ٣ : ٢١) . من هذا نرى أن مفهوم « الخضوع » فى كل حالة يختلف عن مفهوم الخضوع

فى غيرها . وفى كل حالة فالخضوع ، كما يظهر هو مهمة تنسيق فى أعضاء الجسد الواحد . فإن الرسول عندما قال : « أيتها النساء اخضعن لرجالكن (أفسس ٥ : ٢٢) » ، قال قبلها : « اخضعوا بعضكم لبعض فى خوف الله (أفسس ٥ : ٢١) » . فالخضوع المتبادل هنا ، مسئولية تعاون بين من يربطهم هدف واحد ، والتزام مشترك .

(٦) فكرة « الرأس » ، أخذت مذاهب فكرية عديدة . فقد حاول المفسرون أن يفهموا ما أراده الرسول بولس . إن الرسول عندما يقول « رأس المسيح هو الله (كورنثوس الأول ١١ : ٣) » ، إنه لا ينفى المساواة فإن « الرأس » هنا وبكل تأكيد ، لا تعنى « السلطة المطلقة » و« السيادة » . لكنها قد تعنى وضع الأولويات فى مكانها . ويفسرها البعض بأنها تعنى « الأصل » أى ، من جاء أولاً . كما يفسر البعض أن الخضوع المقصود هو « خضوع لحاجات البعض » ، فيه تنازل عن شىء من الأنانية ، وتجاوب مع الطرف الآخر .

إن الواضح من طلب النساء أن يخضعن ، أى أن ذلك يتم برضاهن ورغبتهن . إن الرسول لم يطلب من الرجال اخضاع النساء . وعندما طلب الخضوع المتبادل قال : « اخضعوا بعضكم لبعض فى خوف الله (افسس ٥ : ٢١) » .

ولا شك أن فكرة « الرأس » ترتبط بفكرة « الحب » . فالرأس مطالب من الرسول بأن يحب زوجته . فالقيادة هنا ، بمفهومها الكتابى ، قيادة تضحية وولاء ، ومنح ذات . فإن كانت المرأة قد أخذت من الرجل ، فهى « قريبة » من الرجل وجزء منه ، مما يدل على الارتباط العميق الجذور ، بين الرجل والمرأة .

(٧) إن تنبير الرسول بولس على مساواة الرجل والمرأة ، هو التركيز

الأساسى ، المبنى على قضية لاهوتية ، ترتبط بفداء السيد المسيح للبشرية ، ثم بحلول الروح القدس ، على الرجال والنساء بقدر متساوٍ . يتم هذا فى إطار «الاهتمام الواحد» سواء فى الأسرة أو فى الجماعة (كورنثوس الأولى ١٢ : ٢٥) .

أما التفسير التاريخى ، الذى يربط المرأة التى ظهرت ثانية وأُغويت أولاً ، فهو — فى ضوء فداء السيد المسيح ، حرر المرأة من رأس الحية (تكوين ٣ : ١٥) . وأعطاها حياة جديدة (تيموثاوس الأولى ٢ : ١٤ ، ١٥) ففى تعليم الرسول بولس ، تحتل المرأة مكانة مساوية للرجل — عن طريق ما عمله السيد المسيح على الصليب .

(٨) يغلب على الظن ، أن الرسول بولس أراد أن يناقش علاقة الزوج والزوجة لكى يضع لها الإطار التنظيمى داخل الأسرة . فالرئاسة هنا تنظيمية ، أكثر منها سلطوية . والتساؤل هنا : من هو رأس الأرملة ؟ ومن هو رأس البنت الأعزب ؟ من هذا نرى أن الهدف من الحوار ، ليس أن الرجل يكون دائما رئيسا للمرأة ، لأن المرأة ليست من دون الرجل ، ولأنه لا فرق بين ذكر وأنثى فى المسيح يسوع ، لكن الرسول ، أراد ان يحدد مكانا لتنظيم إدارى فى الحياة الزوجية ، بهدف التنظيم ، لا بهدف السيادة . ويرجح البعض أن المقصود هو ان الرجل هو « الأصل » تاريخيا ، فقد جاءت المرأة من الرجل ، حسب ترتيب أحداث الخلق .

مفهوم صمت المرأة فى الكنيسة فى تعليم الرسول بولس

مشاركة المرأة للعبادة والخدمة الكنسية ، فى رسائل الرسول بولس واضحة

جدا . لقد قدم الرسول بولس فى رسالته الأولى إلى أهل كورنثوس (١٢) كشفا كبيرا عن مواهب الروح ، والتى تُعطىَ للرجال والنساء على حد سواء . وحديثه لكنيسة أفسس (٤ : ٧ - ١٦) يعطى نفس المعنى ، فى وحدانية شعب الله ، الذى حصل على مواهب النعمة ، بهدف تكميل القديسين . وفى رسالته إلى رومية (١٢) يتحدث عن مواهب النعمة للمؤمنين ، دون تمييز بين رجل وامرأة .

وفى الفصل السادس عشر من رسالة الرسول بولس إلى أهل رومية ، يسجل كشفا من ٢٦ شخصا ، أرسل سلامه اليهم ، منهم ١٦ رجلا وتسع نساء ، بالإضافة إلى النساء اللآتى أشار إليهن فى أسرة ارستوبوس (١٦ : ١٠) ، وأسرة تركيسوس (١٦ : ١١) . وقد بدأ بولس كشف الأسماء بـ « فيبى » (١٦ : ١) ، وبريسكلا وأكيلا (١٦ : ٣) .

كان حديث بولس عن بريسكلا وأكيلا ، أنهما « عاملان » معه فى المسيح يسوع وأنهما كزوجين ، وضعا حياتهما لأجل بولس الرسول ، ولأجل كنائس الأمم ، وكانت كنيسة فى بيتهما (١٦ : ٣ - ٥) .

يذكر الرسول مريم « التى تعبت لأجلنا كثيرا (١٦ : ٦) » . « وتريفينا وترفوسا » التابعتين فى الرب (١٦ : ١٢) ، « وبرسيس » المحبوبة التى تعبت كثيرا فى الرب (١٦ : ١٢) ، ثم يصف مؤمنى رومية من نساء ورجال « جميع القديسين (١٦ : ٢٥) » .

إلاَّ أن بولس يفتتح سجل سحابة الشهود فى رومية ، باسم فيبى . ويقول فيها « أوصى إليكم ، بأختنا فيبى ، التى هى خادمة الكنيسة التى فى كنخريا ، كى تقبلوها ، فى الرب كما يحق للقديسين ، وتقوموا لها فى أى شىء احتاجته

منكم ، لأنها صارت مساعدة لكثيرين ، ولى أنا أيضا (رومية ١٦ : ١ - ٢) » .

كلمة « خادمة » هنا ، وباليونانية Prostotis تعنى وظيفة رسمية فى الكنيسة . وقد وردت تساؤلات عديدة من دارسى الكلمة المقدسة ، عن نوع الوظيفة الرسمية التى حملتها فيبى ، فى كنيسة المسيح . حاول البعض تفسيرها بأنها « شماسة » . لكن الكلمة اليونانية لا تحمل هذا المعنى . إلا أنه يرجح أنها وظيفة « معاون » أو « الحامى » أو « الشفيع » . وهو لقب استخدم فيما بعد فى الكنيسة .

إن الواضح أن فيبى ، خادمة كنيسة كنخريا ، كانت فى روما فى مهمة رسمية . لذلك طلب بولس معاملة فيبى معاملة خاصة ، ووصفها أنها فى وظيفتها تعمل مساعدة لبولس ولآخرين . لقد طلب بولس استقبال كنيسة رومية لفيلبى ، كما طلب استقبال الكنيسة لتيموثاوس ، ووصفه بأنه « يعمل عمل الرب ، كما أنا أيضا (كورنثوس الأولى ١٦ : ١٠ ، ١١) » . وكما قدم تيطس وأنسيمس وغيرهما (كورنثوس الثانية ٨ : ١٦ - ٢٤) ، (فليمون ٨ - ٢١) .

تحدث الرسول بولس عن النسوة ، بأنهن عاملات معه فى الرب . أفودية وسنتيخى (فيلبى ٤ : ٣) ، وقد وصف الرسول عملهما معه ، بأنهما جاهدتا فى الإنجيل . وتحدث الرسول عن دور المرأة ، كدور الرجل ، تصلى أو تتنبأ (كورنثوس الأولى ١١ : ٤ و ٥) .

من هذه الفقرات نكتشف ، أن اشتراك المرأة فى العبادة كان متاحا ومقبولا ولم يكن هناك تساؤلات فيه . إشتراك المرأة فى عمل الرب كان مقبولا . الا أن

عبارات « عامل » و« جاهد لأجل الإنجيل » و« تاعب فى الرب » وغيرها ، تعبيرات تحتاج لشيء من التفسير . فما هو نوع العمل الذى سمح به الرسول بولس للمرأة أن تمارسه ؟ .

إن الواضح من مهمة فيبى ، خادمة كنيسة كنخريا ، أنها أنيطت بمسئوليات هامة فى الخدمة ، ويرجح أنها كانت « رسمية » . لعلنا نرجع إلى كلمة « النساء » فى النص التالى ماذا يقصده الرسول : « كذلك يجب أن تكون النساء ، ذوات وقار غير ثالبات ، صاحيات أمينات فى كل شيء (تيموثاوس الأولى ٣ : ١١) » . ولو أننا تابعنا القرينة ، فان الفصل الثالث من رسالة بولس الرسول الأولى إلى تيموثاوس يتحدث عن « الأسقف » من عدد ١ — ٧ ، ثم عن « الشماسة » من عدد ٨ — ١٠ ثم عن « النساء عدد ١١ ثم الشمامسة من عدد ١٢ — ١٣ ، فإن هذا يؤكد لنا أن « النساء » تعبير عن وظيفة معينة ، كانت فى الكنيسة أيام الرسول بولس .

إنه من الواضح — كما سيأتى — أن الكنيسة الأولى ، استخدمت وظائف النساء بأسماء عديدة ، منها « الأرامل » ، ومنها « العذارى » إلى غير ذلك . وقد أعطيت للنسوة مهام معينة فى القرون الأولى للمسيحية . ولا شك أن وظيفة الشموسية كانت ممنوحة للمرأة . بقى لنا أن نتساءل : ما هو مضمون خدمات المرأة فى الكنيسة ؟ هل كانت « إدارية » أو « تعليمية » أو كليهما ؟

وهنا نعود إلى ما قاله الرسول بولس : « لتصمت نساؤكم فى الكنائس لأنه ليس مأذونا لهن أن يتكلمن ، بل يخضعن ، كما يقول الناموس أيضا (كورنثوس الأولى ١٤ : ٣٤) » .

وعلى نفس النمط ، تحدث الرسول بولس ، الى تيموثاوس ، فى رسالته الاولى

(٢ : ١١ — ١٥) : « لتتعلم المرأة بسكوت فى خضوع ، ولكن لست آذن للمرأة أن تُعلّم ، ولا تتسلط على الرجل ، بل تكون فى سكوت . لأن آدم جُبل أولا ، ثم حواء وآدم لم يُغوَ لكن المرأة أُغويت ، فحصلت فى التعدى ولكنها ستخلص بولادة الأولاد ، إن ثبتن فى الايمان والمحبة والقداسة مع التعقل » .

إنه من الواضح أن الرسول بولس يمنع المرأة من التعليم ، لكنه يسمح لها بالتعلم . كما أنه من الواضح أن « الاذْن » بالتعليم أو عدمه ، هو إذن من الرسول بولس شخصيا . (كورنثوس الأولى ٧ : ٦ ، ١٠ ، ١٢) ولما كنا نريد أن نستوضح « إذْن » الرسول بولس فإن هذا يدفعنا لدراسة أعمق .

لِمَ طلب الرسول صمت المرأة فى المجتمع ؟ كيف تصلى المرأة وتتنبأ (كورنثوس الأولى ١١ : ٥) وسط الجماعة ، ثم يطلب منها الرسول بولس أن تصمت ؟ لقد حار دارسو الكتاب المقدس وهم يفسرون ماذ يقصد الرسول بالصمت : ظن البعض أن الرسول يقصد أنها لا تتكلم بألسنة . وترجم البعض الآخر كلمة « سكوت » فى تيموثاوس الأولى (٢ : ١١) بأنها تعنى بهدوء وسلام وتجاوب ، وأنها فعليا لا تعنى الصمت . وعلق البعض على صمت النساء فى الكنيسة ، بأنه صمت التأمل ، وعدم إحداث ضوضاء .

إن الواضح من هذه النصوص ، أن مركزية الحديث فى إقامة ضوابط لدور المرأة جاءت فى الفصلين الحادى عشر والرابع عشر فى رسالته الأولى إلى أهل كورنثوس . يتضح من محتوى الفصلين أن بولس الرسول كان يناقش دور المرأة « داخل الاجتماع » لذلك بينما كان الرسول يحدد الضوابط ، كان يضع المبادىء العامة إلى جانبها . فالعبارات التى وضع فيها الرجل أولا ، أراد أن يضع إلى

جانبها العبارات التى تؤكد مساواة الرجل والمرأة . لقد خشى بولس ، أن أقواله التى تعطى الرئاسة للرجل ، يُساء فهمها ، فتقلل من شأن المرأة . أراد بولس أن يقرر العدالة والمساواة بين الجنسين ، كأساس التعليم المسيحى .

لقد كان الرسول ، وهو يتحدث إلى كنيسة كورنثوس ، يواجه مشكلة الكنيسة . لقد كانت كورنثوس كأفسس ، مشهورتين كمركزين لعبادة الزهرة ، وهى العبادة الوثنية الشائعة فى ذلك الوقت . لقد كان هيكل كورنثوس مركزا لممارسة « الزنا المقدس » وكان به ألف كاهنة ، خصصن أنفسهن للزنا ، كجزء من العبادة الوثنية . ولما كان كل الداخلين للمسيحية ، قادمين من الوثنية ، فقد كانوا مجربين أن يحضروا معهم عاداتهم الوثنية إلى كنيسة المسيح ، وفعلا دخلت التجربة بين جماعات الرب . قال بولس لكنيسة كورنثوس : « يُسمع مطلقا أن بينكم زنى (كورنثوس الأولى ٦ : ١) « لذلك كان لابد لبولس الرسول أن يضع الضوابط لمنع امتداد هذا ، ولوقفه . لذلك وضع الرسول بولس ضوابط لمكان المرأة لعله يتفادى شيئا من الأخطاء التى دخلت إلى جماعات الرب .

لعل هذه الخلفية التاريخية ، توضح لنا حيرة الرسول بولس ، الذى صرح للمرأة بالتعليم مرة ، ولم يأذن لها مرة أخرى . من هذا نكتشف الاتجاه الفكرى للرسول بولس ، فإن الرسول الذى وضع دائما المبادىء العامة ، والقيم الإيمانية الأساسية ، كان يحتاج أن يضع « نصائح خاصة » للكنائس ، لتواجه بها ظروفها المعينة . لذلك فإن الدارس لكلمة الله ، الذى يأخذ المحتوى معا ، ولا يختطف عبارة واحدة ويهرب بها ، ولا بد أنه يرى المعنى المقصود من الوحى المقدس .

لهذا كان من الواضح لنا تماما ، أن « صمت » المرأة ، لم يقصد به الرسول

أبدا ، منع المرأة من التعليم ، أو العمل فى كنيسة الرب يسوع .

بل يتضح من القرائن المختلفة ، أن المرأة أُنيطت بأعمال ومهام رسمية فى الكنيسة فى عهد الرسل . ورغم أن التسميات لوظائف المرأة كانت أنثوية فى بعض الحالات ، مثل « النساء » و« الأرامل » و« العذارى » ولكن وظيفة « معينة الرسول » التى اعطيت لفيبى كانت « إدارية » .

إننا نحس بأن الرسول بولس يتعامل بحرص ، وهو يواجه – من جانب – مركز المرأة فى المجتمع اليهودى واليونانى والرومانى ، ومن جانب آخر ، حاجة المرأة إلى التدريب والتنمية . فقد حجر المجتمع فى تلك الأيام على المرأة ، ولم يعطها فرصا مساوية للتعليم كالرجل . وقد كان من الصعب على المرأة أن تقفز إلى مسئوليات كبار ، دون أن تكون لها فرص كافية على التعلم .

لقد كان الدليل الواضح أمام الرسول بولس ، هو ما عمله السيد المسيح مع المرأة . وقد أحس الرسول بضرورة وضع المرأة فى دورها المساوى للرجل فى الحياة والخدمة ، ليحقق المساواة التى أرادها المسيح لها . وقد كان الطريق شائكا . فإن إعطاء المرأة مسئوليات ، يتطلب قدرتهن على العمل ، كما يتطلب تقبل الشعب لهن . ولما كانت المسئولية الكبرى فى عهد الرسل ، هى نشر رسالة السيد المسيح ، عبر مجتمعات لم تُعط المرأة مكانها ، كان الموقف دقيقا .

لذا ، فإن الفكر الذى يقودنا ، من الوحى المقدس ، ومن خلال تعليم الرسول بولس ، ونحن اليوم فى عصر القرن العشرين ، والمرأة أخذت مكانتها وتقبلها العادى فى المجتمع ، كما أن المرأة قد تعلمت على كافة مستويات التعليم ، نرى أن الدور الحقيقى للمرأة فى كنيسة الرب يسوع ، ومن خلال الخيوط الرئيسية لتعليم الرسول ، أنها تعلم كما تتعلم ، وأنها يجوز أن تحمل مسئوليات فى الخدمة الكنسية ، إدارية كانت أو تعليمية .

مفهوم غطاء الرأس فى تعليم الرسول بولس

كان حديث غطاء الرأس أساسا ، فى رسالة الرسول بولس الأولى إلى أهل كورنثوس (١١ : ٤ – ١٦) « كل رجل يصلى أو يتنبأ ، وله على رأسه شيء يشين رأسه . وأما كل امرأة تصلى أو تتنبأ ، ورأسها غير مغطى ، فتشين رأسها ، لأنها والمخلوقة واحد بعينه . إذ المرأة ، إن كانت لا تتغطى فليقص شعرها . وإن كان قبيحا بالمرأة أن تقص شعرها أو تحلق ، فلتتغط . فإن الرجل لا ينبغى أن يغطى رأسه لكونه صورة الله ومجده ، وأما المرأة فهى مجد الرجل . لأن الرجل ليس من المرأة ، بل المرأة من الرجل ، ولأن الرجل لم يخلق من أجل المرأة بل المرأة من أجل الرجل . لهذا ينبغى للمرأة ، أن يكون لها سلطان على رأسها ، من أجل الملائكة . غير أن الرجل ليس من دون المرأة ، ولا المرأة من دون الرجل ، فى الرب . لأنه كما أن المرأة هى من الرجل ، هكذا الرجل أيضا هو بالمرأة ، ولكن جميع الأشياء هى من الله . أحكموا فى أنفكسم : هل يليق بالمرأة أن تصلى الى الله ، وهى غير مغطاة الرأس ؟ أم ليست الطبيعة نفسها ، تعلمكم أن الرجل إن كان يرخى شعره ، فهو عيب له . وأما المرأة ، إن كانت ترخى شعرها ، فهو مجد لها لأن الشعر أعطى لها عوض برقع » .

إن إسهاب الرسول بولس فى الحديث عن غطاء شعر المرأة ، يعطينا خلفية كانت قائمة فى عصره ، عن هذا الموضوع . فإن الشائع – فى عصر الرسول بولس – أن استرسال شعر المرأة ، كان رمزا لفصلها عن المجتمع ، وبتعبير آخر ، فإن الزانية كانت تترك شعرها يسترسل . وكان ذلك معروفا فى اليهودية واليونان والرومان ، كما أن الشعر السائب ، كان يستخدم علامة من علامات الحزن عند اليونان والرومان . وفى اليهودية ، إرتبط الشعر السائب بالحزن ، وبالإصابة بمرض برص ، وباتهام الزنى . لكننا نرى أن بولس ، وهو يتحدث عن الشعر ، يحاول أن يتحفظ بوضع الأساس ، عندما قال : « غير أن الرجل

ليس من دون المرأة ولا المرأة من دون الرجل «لكنه يعود ويتحدث عن « اللياقة » و« الممارسة الطبيعية » ، وهى مواصفات اجتماعية ، تحلل رؤية المجتمع فى عصر الرسول . ورغم ذلك فهو يرى أن المرأة عندما ترخى شعرها ، فهو مجد لها . لكنه التقليد السائد يصف هذا المجد بأنه عيب واتهام . لذلك نصح الرسول المرأة بأنها تغطى رأسها .

لقد كانت كنيسة كورنثوس مليئة المشاكل ، وكانت كلها صور المجتمع المحيط الذى دخل الى الكنيسة : منها زواج امرأة الأب (كورنثوس الاولى ٥ : ١ – ٣) ، والالتصاق بالعاهرات (٦ : ١٢ – ٢٠) ، وحرية التطليق (٧ : ١ – ١٤) ، إلى غير ذلك . وكان الرسول حريصا على تحرير الكنيسة من المشكلات المقيمة ، المستوردة للكنيسة من المجتمع الكورنثى ، مع خوفه أن التعليم الخاص لمواجهة المشكلات المحيطة ، يمحو التعليم المسيحى الأصيل . فهو بسبب « اللياقة » التى يقبلها المجتمع فى عصره ، يعطى نصيحة معينة ، ثم يذكر الشعب بأن الأساس التعليمى هو أن المرأة ليست من دون الرجل .

لم يكن برقع الوجه معروفا ، لا فى اليهودية ولا فى اليونان ولا الرومان . كان وضع شال على الرأس شائعا فى اليهودية أيام السيد المسيح ، وكذلك أيام الرسول بولس . يشير إلى ذلك المؤرخ المشهور يوسيفوس . بل إنه من بدء الخليقة كان غطاء الرأس يستخدم دليلاً على أمانة المرأة لزوجها (تكوين ٢٥ : ٦٥) . « الشعر كان مهماً فى المجتمعات العادية فى عصر الرسول بولس . فإن شعر المرأة مجد لها « وكان تصفيف الشعر هاماً عندها (كورنثوس الأولى ١١ : ١٥) » .

تعامل السيد المسيح كثيرا مع النسوة ، لكنه لم يطلب منهن غطاء الرأس . لقد أراد بولس أن يحدد انتماء المرأة للرجل ، واستخدم لذلك فكرة غطاء

الرأس ، فكرة مأخوذة من مجتمعه . كما أراد الرسول ، أن يفصل بين نساء الكنيسة المؤمنات والنساء غير المرضى عنهن فى المجتمع فى أيامه .

مفهوم العزوبة عند الرسول بولس

قال الرسول بولس : « ولكن أقول لغير المتزوجين ، وللأرامل ، أنه حسن لهم إذا لبثوا كما أنا (كورنثوس الأولى ٧ : ٨) » . ولما كانت الكنيسة الأولى تواجه قضية مجىء المسيح الثانى ، وتنتظر مجيئه فى عصرها ، فقد كان الاتجاه السائد ، رفض المهام المستمرة فى حياة الدنيا .

ومن أقوال الرسول فى هذا المجال : « أما من جهة الأمور التى كتبتم لى عنها ، فحسن للرجل أن لا يمس امرأة . ولكن لسبب الزنا ، ليكن لكل واحد امرأته ، وليكن لكل واحدة رجلها ... لكننى أقول لغير المتزوجين ، وللارامل ، أنه حسن لهم ، إذا لبثوا كما أنا . ولكن إن لم يضبطوا أنفسهم فليتزوجوا لأن التزوج أصلح من التحرق ، وأما المتزوجون ، فأوصيهم « لا أنا بل الرب ، أن لا تفارق المرأة رجلها ... وأما العذارى ، فليس عندى أمر من الرب فيهن ، ولكننى أعطى رأيا كمن رحمه الرب أن يكون أمينا . فأظن ، أن هذا حسن ، لسبب ، الضيق الحاضر ، أنه حسن للإنسان أن يكون هكذا . أنت مرتبط بامرأة فلا تطلب الانفصال ، أنت منفصل عن إمرأة فلا تطلب إمرأة ، لكنك إن تزوجت لم تخطىء ، وإن تزوجت العذراء لم تخطىء (كورنثوس الاولى ٧ : ١ ، ٢ ، ٨ ، ٩ ، ١٠ ، ٢٥ ، ٢٦ ، ٢٧ ، ٢٨) » .

يوضح الرسول أن فكر العزوبة ليس أمرا من الرب . ولكنه رأيه الشخصى بسبب ظروف الحياة . لكنه فى نفس الوقت يؤكد قدسية الزواج ، وضرورته .

أساس العزوبة ، هو اختيار شخصى ، وللظروف المعيشية ، وعدم قدرة الإنسان على عدم الزواج . لم يبن الرسول فكرة العزوبة على أساس قدسيتها أكثر من التزوج ، فإن الأمر غير ذلك . فإن الأعزب مجرب كأى إنسان عادى . وأسس الرسول فكرة العزوبة ، على أنها اختيار شخصى للفرد .

بل إن تعليق الرسول بولس الخاص على هذه القضية كان مبنياً على أن الزواج يزيد من اهتمامات المتزوج لإرضاء الطرف الآخر ، بينما غير المتزوج يكون خالياً من هذه الاهتمامات ، متفرغاً للخدمة فقط (كورنثوس الأولى ٧ : ٣٥ - ٤٠) » . فإن العزوبة ، تعطى وقتاً أوسع للخدمة ، بينما يشغل الزواج الزوجين فى اهتمامات زوجية .

من هذا نرى ان الدعوة للعزوبة - سواء للرجل أو المرأة - دعوة من الرسول بولس ، تبنى على الاختيار المحض للفرد ، فى حالة دعوته للتفرغ لخدمة الله فقط ، أو لخدمة الله مع الأسرة .

تعليق ختامى

إن الرسول بولس ، وهو يقرر أساسا مبدأ مساواة الرجل والمرأة فى القيمة والذاتية ، وفى المستوى الاجتماعى ، والروحى ، يعلم بدور المرأة فى العبادة ، والخدمة فى التعلم والتعليم ، بل أضاف أن هناك مسئوليات معاونة أعطيت لنساء فى كنيسة المسيح .

إن البلاد التى زارها الرسول بولس ، غالبا كانت قد تأثرت من تحرر المرأة . إن المرأة فى مناطق عديدة ، مثل مكدونية ، تمتعت بحريات أكثر ، منذ عصر الاسكندر الاكبر . ونحن نشهد آثار ذلك فى الرسائل التى أرسلت إلى تلك البلاد .

لا بد لنا أن نذكر أيضا ، أن الرسول بولس ، عندما ذكر كشف شهود القيامة (كورنثوس الأولى ١٥) ، لم يذكر النسوة ، رغم أنهن كن أول من شاهد القيامة ، ولعل السبب هو أن اليهود لم يكونوا يقبلون شهادة المرأة ، كما أن الشهادة لم تكن موضع قبول من المرأة فى المجتمعات اليونانية ، والشهادة بالقيامة كانت لازمة لغير المؤمنين ، كما كانت هامة للمؤمنين . لذلك قدم أسماء الرجال كشهود لكى يقبلهم المجتمع .

إن أسلوب الرسول فى تقديم التعليم الأساسى ، يقرر القيم التى كانت سائدة فى المجتمع ، حتى لا تعاق الخدمة ، ولا تتعثر الرسالة . كان الهدف الأعلى للرسول أن تصل رسالة الإنجيل إلى كل مكان ، بأقل قدر من المعيقات . لذلك قدم بولس نصائحه الخاصة لمواقف معينة ، لكنه كان يعود ويذكر القارىء بالأسس الرئيسية للتعليم الإيمانى المسيحى ، حتى يهدفوا لتحقيقها .

سادســا

لقطات مختصرة من دور المرأة فى الكنيسة فى القرون الثانى حتى التاسع عشر

تمهيـــد

لسنا نريد فى هذ العجالة أن نقوم بدراسة دقيقة عبر تاريخ الكنيسة ، فإننا نحتاج إلى مجلد واسع لهذا الغرض . لكننا نحاول أن نكتشف الصراع الذى عاشته الكنيسة ، وهى تحاول أن تطبق المبادىء المسيحية ، فى المجتمعات المختلفة . ولعل بعض اللمحات الخاطفة ، من تاريخ قادة الفكر اللامعين فى الكنيسة ، ترينا كيف واجهت الكنيسة – فى القرون الأولى لها – قضية المرأة . ونحن نشير إليها هنا دون إسهاب ، ودون دراسة للأسباب التى دفعت للوصول إلى الفكر الذى وصلوا اليه .

آبـاء الكنيسة

من آباء الاسكندرية ، إكليمندس الاسكندرى (١٥٠ م) . اعترض على الإقلال من مركز المرأة عن الرجل . واعتبر أن المرأة يمكنها أن تصل الى درجة الكمال كالرجل ، ويمكنها أن تستشهد لأجل الإنجيل . وأصر على أنه لا فرق روحى بين الرجل والمرأة . إلا أنه دعا إلى خضوع المرأة للرجل وشجع على الزواج .

من آباء افريقيا ، ترتليانوس (١٦٠ م) ، مولود فى قرطاجنة ، درس فى روما وأثينا ؛ دعا ترتليانوس إلى الاقلال من مركز المرأة عن الرجل .

من آباء افريقيا ، ترتليانوس (١٦٠ م) ، مولود فى قرطاجنة ، درس فى روما وأثينا ، دعا ترتليانوس إلى الاقلال من مركز المرأة عند الرجل .

أما كيريانوس ، وهو أيضا من آباء إفريقيا (٢٤٦ م) فقد دعا إلى مساواة الرجل والمرأة روحيا . ونادى بقدسية العذراوية . ونسبة لقلة المساكن التى

تحتوى المؤمنين ، سمح للعذارى أن يقمن فى مساكن الرجال . وأحيانا فى نفس الغرف .

إن اختلاف آراء آباء الكنيسة ، ترينا ، كيف حاول الآباء ، أن يلتقطوا تعليم السيد المسيح ، والرسل ، ويطابقونه على ظروفهم ومجتمعاتهم .

وفى القرن الثالث الميلادى ، ظهرت التقاليد الرسولية : تقليد الإيمان الرسولى ، ونظام الكنيسة الرسولى ، والنظام السورى الرسولى . تحدد بوضوح فى ذلك الوقت ، اختيار فئات « الأرامل » و« العذارى » و« الشماسات » ، لأعمال كنيستة . ورغم أننا لا نعرف على وجه التحديد مهمة كل وظيفة ، إلا أننا نعرف أنها كانت قائمة . أقدمها وظيفة « شماسة » ، التى كانت موجودة فى كنيسة العهد الجديد ، وظهر فى التاريخ تواجدها . جستين مارتر ، فى القرن الثانى ، اعتقد أن الشماسة كانت تحمل الخبز والخمر للمرضى فى البيوت ، وكانت تقوم بوظيفة « مساعد اسقف » .

أما الرسامات فلم تبدأ - غالبا - حتى أواخر القرن الرابع الميلادى . فلم تكن كل « الارامل » المؤمنات موظفات ، وكذلك العذارى . لكن مجموعات منهن تم اختيارهن للخدمة . ولما لم يكن لهذه الوظائف ، ثبات واضح ، لم يكن لها استقرار . لذلك ، فان هذه الوظائف ، انقرضت - على الأغلب - قبل القرن الخامس الميلادى ، إلا أن وظيفة « شماسة » استمرت . كنيسة القسطنطينية رسمت شماسات بين القرن السادس والثامن .

ففى اواخر القرن الرابع الميلادى ، ظهرت « الراهبات » . أنشأت مارسيلا أول نظام للراهبات وتلا ذلك نظم عديدة لرهبنة المرأة .

وكانت فكرة « رهبنة المرأة » ، أساسا وظيفة ، ثم أصبحت تتم بالرسامة ،

التى كانت تعطى الراهبة مكانتها ، وتمنحها الأمن والكرامة والاستقرار فى نظام ثابت وعن طريق الراهبات دخلت المرأة فى وظائف عديدة .

استمر نظام الراهبات ، باعتباره النظام الاساسى ، لاشتراك المرأة فى العمل الكنسى ، عبر العصور الوسطى ، حتى جاء الاصلاح ، فى القرن السادس عشر .

من هذه اللمحات الخاطفة ، نكتشف الحقائق الآتية :

(١) اختلف الآباء حول موقف المرأة . ولا شك أن اختلافهم كان مبنيا على حقائق عديدة ، منها ظروف البيئة ، ومتابعتهم فهم تعليم الكتاب المقدس .

(٢) التطور إلى « رسامة » المرأة ، وإعطائها مسئولية ، كان لوظيفة « شماسة » فقط .

(٣) ان تخصص راهبات ، وانشاء نظام الرهبنة بين النساء ، كان خطوة على طريق تخصص العزوبة للخدمة الدينية . الا ان الراهبات لم يكن لهن حق الممارسات الكهنوتية ، التى كانت من حق الرجال وحدهم .

(٤) إن الاكتفاء بدور العمل النسائى للمرتسمات فقط « راهبات » كن ، أو شماسات يجعل المرتسمات خاضعات للإطار الكنسى ، يوضح مدى اهتمام الكنيسة بأن تأخذ المرأة مكانها فى خدمة السيد .

عصر الاصلاح

كان قادة الإصلاح مشغولين بمهام عديدة ، وقضايا لاهوتية كبرى . لم يعطوا المرأة اهتماما خاصا . ان مارتن لوثر وكالفن لم يتحدثا كثيرا عن دور المرأة . لكنهما تزوجا راهبتين ، بعد أن دعيا الى الخروج من الرهبنة . فى

خلال القرن السادس عشر ، توقفت بعض الأديرة ، وخرجت بعض الراهبات ، وعدن الى الحياة العادية ، واستمرت الباقيات .

لا شك ان مشغولية مارتن لوثر فى إصلاح الكنيسة ، وجون كلفن فى التنظيم الإدارى لها ، كانت تستحق منهم أولوية مطلقة ، لكن دعوة لوثر – فى حد ذاتها – كانت تحريراً للمرأة بالإيمان العملى بالمسيح .

وبذلك تجمد دور المرأة فى النشاط الكنسى حتى القرن السابع عشر ، عندما دعا الكويكر والمعمدانيون المرأة إلى ممارسة الوعظ ، وخدمة الجماهير ، وبذلك بدأت المرأة تستعيد مكانتها فى خدمة الكنيسة . ثم ظهرت المؤسسات التى تركز على تعليم المرأة ، وإعطاء المرأة دورها القيادى فى الحركة البروتستانتية .

اهتمت الحركة البيوريتانية (حركة بروتستانتية) ، والتى ظهرت فى القرنين ١٨، ١٩ بدور المرأة . فالمرأة تعلم وتتعلم ، كما تتعبد . ويمكنها التعمق الروحى كالرجل تماما .

تعليق ختامى

من هذه اللقطات المختصرة جدا ، نرى صراع الكنيسة المسيحية ، وقد انتشرت فى العالم أجمع ، مع المجتمعات المختلفة ، وهى تحاول أن تكتشف مكانة المرأة وكيف تحتل المرأة دورها الحقيقى .

والدارس للتاريخ الكنسى ، يشهد أن القرون الأولى من تاريخ الكنيسة كانت فترة صراع عقيدى ، عن دور المرأة داخل العقيدة المسيحية ، وفى النظم الكنسية . إلا أن الكنيسة بعد الإصلاح ، كانت مشغولة بالتعليم الكتابى أكثر من اهتمامها بالعقيدة والنظم الكنسية . وقد كانت رؤية كالفن ، الذى تبع

لوثر ، أن يرى روح العهد الجديد ، لأن يلتقط منه النظم الكنسية ، التى دعت الى اتساع رقعة المسئولية إلى « شعب الرب كله » . والذى قاد الفكر فى عقيدة « كهنوت العلمانيين » ، التى أدخلت كل شعب الرب فى إطار المهام الكهنوتية .

ومن خلال التعليم الكالفينى ، فى تفسير كلمة الوحى المقدسة ، احتلت المرأة مكانتها الحقيقية فى جماعة الرب ، كعضو مسئول ، وملتزم بالرسالة والخدمة والمسئولية الرسمية .

وقد دعا المؤتمر الفاتياكانى الثانى (VATICAN II) ، الذى عقدته الكنيسة الكاثوليكية ، وهو يراجع العقيدة والفكر اللاهوتى ، إلى عقيدة « كهنوت العلمانيين » ، رغم أنه أبقى النظام الكهنوتى الهرمى فى الكنيسة .

إن التطور الفكرى لكنيسة الرب يسوع ، عبر عصور التاريخ منذ أن صعد المسيح ، قاد الكنيسة ، بإرشاد الروح القدس ، إلى أن تكتشف دور المرأة ، نبعا من تعليم السيد لتأخذ المرأة مكانتها ، التى أرادها لها الله .

سابعــا

تقيم عام لدور المرأة في الكنيسة والمجتمع في القرن العشرين

تمهيــد

لقد حاولنا فى هذا الكتاب أن نكتشف دور المرأة عبر التاريخ . بحثنا عنها فى العهد القديم ، ورأينا دورها الاجتماعى والدينى . ثم رأينا السيد المسيح يواجه قضية المرأة ورأينا معاملاته ، التى كانت تعتبر ثورة صارخة تجاه التقاليد اليهودية واليونانية والرومانية فى عصره . وقد رأينا القيم التى أرساها السيد المسيح للمرأة لتعبرّ عن مقامها ودورها . ثم حاولنا أن نكتشف الصراع الذى عاشته الكنيسة ، منذ نشأتها ، فى محاولتها لتطبيق القيم التى دعا السيد المسيح إليها ، من خلال الحضارات المختلفة ، مع ما فيها من تقاليد ونظم . لذلك كان لا بد لنا أن ندرس كنيسة الرسل ، وقد أفردنا للرسول بولس فصلا خاصا ، ثم مقتطفات عابرة عن الكنيسة عبر ١٩ قرنا .

كشفت هذه الدراسة ، الصراع الذى عاشته الأجيال ، إزاء قضية المرأة . كما كشفت لنا كيف ظلمت المرأة عبر التاريخ ، وكم واجهت . كما رأينا من خلال تلك الدراسة كيف ابتعد العالم عن القيم الأساسية التى وضعها الله فى الخليقة .

ولا شك أننا رأينا ، كيف تعامل الله مع التاريخ ، حتى جاء السيد المسيح ، الذى وضع الأمور فى نصابها ، وأعطى المرأة مكانتها الحقيقية ، التى أرادها لها .

نحاول الآن ان نلتقط الانفاس ، ونعيش عصرنا ، فى القرن العشرين . نريد – ولا شك – أن نأخذ الفكر المستمد من السيد المسيح ونطابقه على مجتمعنا ، علنا نقدر ونحن نصارع مع التقاليد المتوارثة ، والحضارات التى تركت بصماتها على مجتمعنا .

سوف نحاول عدم تكرار دراسات سبقت الاشارة اليها ، إلا فيما يلزم أن نعود إليه . فإننا – ولا شك – قد غطينا قضايا فكرية – عن المرأة – من قبل .

خلفيات تكوين الفكر المصرى عن المرأة

الفكر المصرى المعاصر ، وليد تراث معقد وتقاليد متوارثة عبر التاريخ : فرعونية ، يونانية ، رومانية ، مسيحية ، عثمانية ، عربية ، إسلامية ، فرنسية ، بريطانية ، أمريكية . تولد عن هذا تناقض واضح فى المجتمعات . فإنك لو وقفت فى ميدان كبير بالقاهرة – مثلا – وتطلعت إلى المارة لشاهدت البون الشاسع ، بين الناس ، الذى يمثل عصورا عميقة . بل إنك احيانا ترى هذا الاتساع فى التقاليد ، داخل أفراد الأسرة الواحدة . قد ترى سيدة تلبس الحجاب ، لا تمانع فى نزول البحر والمايوه . مرات تشهد سيدة من مجتمع راق جدا ، تمارس قسوة نادرة فى الاحكام على الابنة داخل الأسرة وخارجها ، إلى غير ذلك من التناقض .

هناك تقاليد انتقلت من مصر للدول المحيطة بها ، أو من هذه الدول إلى مصر عبر العلاقات الثقافية والتجارية . فهناك من يظنون أن عادة « ختان البنت » جاءت إلى مصر من افريقيا . إلا أن تأثيرات أخرى ، كانت تأثيرات من دول أبعد . فان أبعاد الحضارة المصرية انتقلت إلى امريكا من خلال المهاجرين المصريين إليها كما أن ابعاد الحضارة الأوروبية انتقلت إلى مصر خلال العلاقات الثقافية .

ولكى نتمكن من مواصلة الدراسة ، لا بد لنا أن نرجع إلى أصل الخليقة ، عندما خلق الله الرجل والمرأة ، علنا نكتشف مقاصد الله الأساسية فى الخليقة ، ثم نخرج من ذلك الى وضع القيم الأساسية لمكانة المرأة ومقامها فى المجتمع فى عصرنا الحاضر .

إننا لا نهدف من هذه الدراسة ان تتعالى المرأة ، وأن تتشامخ ، أو تتسيد ، بل نحاول أن نرى الرجل والمرأة ، فى مجتمع العالم ، يعيشان جنبا إلى جنب يعملان معا ، فى إطار دعوة الله لهما ، وفى أسلوب متكامل .

المرأة والخليقة

نعود الآن إلى قصة الخليقة . ولعله جدير بالذكر ، أنه منذ تكوين ٣ (أى بعد السقوط) تحولت قصة تاريخ البشرية ، فى المسار الذى وصل بنا إلى اليوم .

لقد كان الدور الهام ، الذى أراده المسيح ، هو أن نعود إلى أصل الخليقة ، والأهداف الإلهية السامية التى كانت تقف وراء الخلق . فلو عدنا إلى الخليقة لرأينا المشيئة الإلهية من خلق المرأة ، ثم طابقناها مع أعمال السيد المسيح وأقواله ، لرأينا الأساس الذى نبنى عليه الفكر فى هذا الكتاب .

تكشف لنا قصة الخليقة ، القصد الإلهى الأساسى ، فى خلق الانسان : آدم وحواء وهى تقدم لنا أروع صورة للكيان الإنسانى باعتباره مخلوقا على « صورة الله » .

خلق الله آدم اولا ، ثم خلق حواء . قال الله بعد خلق آدم « ليس جيدا أن يكون آدم وحده (تكوين ٢ : ١٨) » . فإن خلق حواء لم يكن حلاً لمشكلة « وحدة » آدم فحسب ، بل إن بقاء آدم وحده لم يكن حسنا . لقد أراد الله « التنوع » فى الجنس البشرى . وكان خلق آدم ، خلقاً شاملا للجنسين . « ذكرا وأنثى خلقهم (تكوين ١ : ٢٧) » . لذلك أخذ الله حواء من آدم . التنوع هنا ليس « بيولوجيا » بل إنسانيا . فإن حواء « إنسان » بكل معنى الكلمة فهى « أم كل حى » ، رجلا كان أو امرأة . إن تنوع الجنس البشرى إلى

« ذكر » و« أنثى » هو أساس قصد الله فى الإنسان .

قال الله : « أصنع له معينا نظيره (تكوين ٢ : ١٨) » فإن هدف التنوع « الإعانة » . لقد حمّل الله آدم مسئولية « الأرض » ، العمل والإنتاج ، وأعطاه « سلطات » على كل الأرض والكائنات التى عليها . وكان لابد من مُعين ، يعمل معه « عمل الله » فى هذا العالم : سواء الإنتاج ، أو سلطات التشغيل .

ان كلمة « معينة » فى اللغة العبرية ، تستخدم لمن هو مساو يعاون شريكة ، وأينما كان التفسير فهو تعبير عن المشاركة فى الحقوق والواجبات ، من كل ناحية .

إن كلمة « معينة » ، تعبر عن أن حواء معينة مناسبة لآدم ، شريكة له ، تحمل معه مسئولية كاملة ، تقوم بدورها الكامل ، إنها نظير آدم ، عظم من عظامه ولحم من لحمه (تكوين ٢ : ٢٣) ، مما يعبر عن الوحدة بين آدم وحواء ، كما تعبر عن المساواة بينهما إنها مسئولة ، خلقت من الله على صورته لتحقيق مشيئته .

بل ان مهمة « الإعانة » ، تمتد إلى نطاق تكوين المجتمع . فإن اختلاف « النوع » يعاون على تكوين المجتمع البشرى ، الذى يبدأ بمجتمع الأسرة ، ثم يمتد الى المجتمع الأكبر . إنه « مجتمع الله » على وجه الأرض ، والله نفسه « رب الأسرة » .

إن الرجل مدعو ، أن يترك أباه وأمه ، ويلتصق بامرأته ، ويكون الاثنان جسدا واحدا ، فإن الزوجة تحصل على أولوية ، بالنسبة لزوجها ، مقابل الوالدين .

عندما خلق الله المرأة ، خلقها « نظير » الرجل . فهى ملائمة للرجل ، إنسان مثله ، لكنها من نوع « الانثى » . فهى انسان « اولا » ، ثم انثى .

ليتأكد كل طرف ، أنه لا « يمتلك » الطرف الآخر ، ولا يستحوز عليه ، ولا يجعله آلة فى يده . إن كل طرف « إنسان » خلقه الله ، ومات المسيح لأجله . له قيمته الذاتية ، وله شخصيته بكل ما فيها من عقل ومشاعر واختبارات . وارتباط الطرفين معا هو « تطبيع علاقات » روحية وسيكلوجية وعاطفية وجنسية ، فيها يحرص كل طرف على الآخر ، ويحس كل طرف برغبات الطرف الآخر . ويحترمها . ويتجاوب معها قدر استطاعته .

وينتج عن هذه الألفة ، إحساس كل طرف ، بأن علاقته بالطرف الآخر بكل مشتملها هى جزء أصيل من علاقته بالله . وهذا هو سر قدسية هذه العلاقة .

كان خلق الله لآدم وحواء متميزاً عن سائر الكائنات والمخلوقات البشرية . فهما على صورة الله . وقد تعدد الشرح فى تفسير « مفهوم » صورة الله . ولسنا نريد أن ندخل فى دراسة لما يمكن أن تحويه فكرة الصورة . إلا أنه ولا شك ، كان القصد الإلهى من خلق الإنسان ، أن الانسان يقوم بدور الله على الأرض . للإنسان قدرة على تكوين علاقة ناضجة ، مع الله ، ومع أخته وأخيه من البشر . كما أن الإنسان قد أعطى قدرات تعاونه على « الإنتاج » و« السلطة » . فإن تحدثنا عن عقل الإنسان ، فهو – دون شك – معجزة الله على الأرض . كما أن قدرة الانسان على إنجاب كائنات بشرية ، من النوعية ، تشارك المسئولية ، وتحقق الإنتاج ، قدرة إلهية ممتازة .

إن حواء ، كائن بشرى ، خلقه الله كالرجل ، لها نفس « صورة الله » ، دون فرق.فأنه ، كما ذكر الرسول بولس ، فيما بعد ، لا فرق بين ذكر وانثى فى الانسانية امام الله .

المـرأة انسـان

خلق الله المرأة ، كما خلق الرجل . خلق الرجل من تراب ، والمرأة من الرجل . أرادها - كالرجل - إنسانا . أعطاها ، كما أعطى الرجل السلطة على الخليقة . فقد كان لآدم وحواء السلطان على الخليقة ، والإنتاج بها ومنها .

وعندما سقطت حواء ، وسقط آدم فى الخطية ، وضع الله خطة الفداء للبشرية شاملة الرجل والمرأة . فافتدى الإنسان . ودعا الانسان - رجلا كان أو امرأة - أن يخلص من الخطية ، وأن يعيش بالبر ، وفى طاعة الله .

وعندما انسكب روح الله ، انسكب على الرجل والمرأة معا . وقد اشتركا معا فى الإعلان عن الإيمان بالمسيح ، والخدمة ، واحتملا معا الاضطهاد لأجل السيد .

أراد السيد المسيح أن تأخذ المرأة مكانها إلى جانب الرجل ، فى كافة أوضاع الحياة . كل واحد يعمل بحسب ما اعطاه الله من مواهب ، حسب نعمة الله المتنوعة للبشرية .

ودعا الرسول بطرس إلى إعطاء المرأة « كرامة أفضل » باعتبارها شريكة ووارثة مع المؤمنين فى ملكوت الفادى .

لقد أراد الله أن تكون المرأة « معينة » للرجل بكل معنى الكلمة ، لها دورها فى مشاركة الحياة والفكر والعمل والإنتاج . ومن الصور التى رسمها سجل الخليقة ، نرى المشاركة المطلوبة فى وضعها الحقيقى العادى حسب مقاصد العلى .

لذا ينبغى أن تكون خطة الكنيسة والمجتمع ، مرتبطة بتفاعل الرجل والمرأة

معا ، فى عمل مشترك ، تحقيقا لمقاصد الله واتباعا للخط الذى رسمه السيد المسيح .

الأنوثة المكرمة

الأنثى خلقة الله . خلق الله الإنسان ذكرا وأنثى ، خلقهما على صورته لقد كان تدبير الله للخليقة أن تكون من نوعين ، كل منهما محترم ومكرم .

لذلك فإن « الأنثى » تحترم أنوثتها كإنسان ، له مكانته فى مجتمع الله ، العالم الذى خلقه . كما أن الرجال ، يلزم لهم أن يحترموا الأنثى ككائن مخلوق على صورة الله .

قصد الله أن يخلق الإنسان على نوعين : ذكرا وأنثى ، فالذكورة مقدسة كالأنوثة تماما . إن كل المحاولات لتحقير الأنوثة . أو تدنيسها . تتعارض مع مقاصد الله فى الخلق .

إن المرأة فى فترة الحيض طاهرة كل الطهارة . لا يجوز أنها تمنع عن الصلاة والتناول من عشاء الرب . إن المرأة فى حالة الولادة طاهرة كل الطهارة ، لا يجوز لنا أن نمنعها من ممارستها الروحية بسبب الولادة . إن حالة الحيض ، والولادة ، ممارسات ترتبط بالأنوثة . فما دامت الأنوثة مقدسة ، فالممارسات المتولدة عنها مقدسة أيضا .

وفى العمل ، لا بد من إعطاء مكان للمرأة ، مع إقرار النظم ، التى تسمح للمرأة فى فترة الحمل ، والولادة ، برعاية طفلها ، الذى ينشأ عضوا فى المجتمع . بل إن الكنيسة مسئولة عن إنشاء حضانات لمشاركة الأسر برعاية الأطفال ، عندما تكون المرأة مرتبطة بعملها .

مساواة المرأة والرجل

دعا السيد المسيح إلى إعطاء المرأة مكانها فى المجتمع . فإن الانتماء الأصلى هو لله . فإن التقييم ليس هو « من » بل « لمن » ينتمى الفرد ، ذكرا كان أو أنثى .

إن المرأة ، وهى تمثل نصف المجتمع ، تمثل قدرا وفيرا من الثروة البشرية التى لا يجوز الاستغناء عنها ، فهى « انسان » بكل معنى الإنسانية ، لها دورها وكيانها ، وذاتيتها ، وإرادتها الحرة .

خلق الله الرجل والمرأة ، كل منهما « إنسان » بمعنى الكلمة . للمرأة ذاتيتها المستقلة ، يعاملها الله كما يعامل الرجل . أراد الله من خلق الرجل والمرأة ، أن يكونا زميلين ، على مستوى الزمالة الإنسانية لا جنس أفضل من الآخر ، إن تسمية المرأة « أم فلان » ، إنكار لذاتية المرأة ، وشخصيتها المستقلة ، كما خلقها الله . خلق الله الرجل والمرأة على صورة الله . فإن الله يوكل إليهما مهام ومسئوليات ، يدعوهما للعمل .

إن « المرأة » فى ذكائها ، وقدراتها العقلية مساوية للرجل . إن قدرة المرأة الجسمية اليوم تظهر فى أنواع متعددة للأعمال التى تقوم بها . فالمرأة دخلت المعارك والحروب ، كما يظهر من العهد القديم ، ويظهر من التاريخ المعاصر . واجهت المرأة الاضطهاد فى التاريخ الكنسى ، ووقفت بصلابة مع الرجل كما يظهر من سفر أعمال الرسل ، ومن التاريخ الكنسى فى القرون الأولى .

لذا ، فإنه لا بد للمرأة ، أن تأخذ دورها الحقيقى فى التعليم ، وفى العمل ليبنى المجتمع على فكر وجهد النوعين . ففى هذا – علاوة على أنه إقرار للحق والعدالة للنوعية ، فهو زيادة للإنتاج ، واستثمار أفضل لما أعطاه الله من مواهب ونعم لكل منهما .

إن تكريم الأنوثة ، تكريم لنوع من الجنس البشرى خلقه الله . فالأنثى قديرة على العمل ، والخلق والإبداع ، والإنتاج المنظم الهادف ، كالرجل تماما . كما أن الأنثى قديرة على أن تقف على المستوى الروحى والإيمانى ، كالرجل تماما . بل إن دور الأنثى الروحى له ميزاته وأعماقه وقوته ، التى لا تستغنى عنها كنيسة المسيح .

اللياقة والجاذبية والإغراء

نتحدث كثيرا عن المرأة الفاتنة ، وعن إغرائها للرجل ، أو اجتذابها له . والواقع أنه يلزم لنا أن ندرس الفرق بين هذه العبارات الثلاث : « اللياقة » و« الجاذبية » و« الاغراء » . كما نحتاج أن ندرس : هل هذه هى مشكلة المرأة أو الرجل أو كليهما معا . ولعله يلزم لنا أن نكتشف هل هذه التعبيرات مواصفات للمرأة فقط أم للرجل أيضا .

اللياقة والحشمة

ان « اللياقة » فى المظهر ، مطلب اجتماعى عادى ، سواء للرجل أو للمرأة فإن الظهور بمظهر مناسب أو مقبول ، يعتبر من إحساسات الذوق السليم لدى الرجل أو المرأة . بل إن المرأة – كالرجل – يعبر مظهرها ، سواء ملبسها أو شكلها العام – عن ذوقها الفنى . إن إختيار الألوان المتناسبة ، وتصفيف الشعر ، وإرتباط موديل الملابس مع شكل الجسم ونوع الحذاء ، إلى غير ذلك ، كلها تعبر عن إختيارها السليم .

إن عناية المرأة بمظهرها ، تجعلها تعتنى بملابسها الداخلية كالخارجية . فان الملابس الداخلية وإن كانت لا تظهر ، فإنها تعطى المرأة إحساسها لذاتيتها ،

إن الرجل ايضاً ، يلتزم بمستوى للياقة . إن تصفيف شعره ، ولون الملابس ، ومناسبتها معا واختيار الحذاء ، كلها تؤثر معا على مظهره . كما أنها تعطيه إحساسه باحترام ذاته ، وراحته النفسية .

إن مظهر الرجل والمرأة — إلى جانب أنه يعبر عن تذوقه الفنى — فهو يعطى الإنسان إحساسه العميق الداخلى ، باحترام الذات ، وراحته النفسية ، ورضاه عن نفسه ، وإحساسه باحترام الآخرين له .

وإن كان الرجل يرتبط بملبس معين ، يدور حول البدلة ، إلا ان المرأة قد تلبس الفستان — بكافة التصميمات المتنوعة له — أو قد تلبس البدلة كالرجل . هذا لا ينفى وجود مجتمعات يلبس فيها الرجل الجلابية . إن نوع الملبس يرتبط بالحضارة ومفاهيم المجتمع ، والعرف . فإن الرجل فى مناطق ما فى أواسط افريقيا قد يلبس سترة صغيرة حول منتصف جسمه أو قد لا يلبسها ، وكذلك المرأة . ولا يرى أحد عيبا فى ذلك . إن الانسان على البلاج يلبس ملابس معينة ، قد لا يقبلها المجتمع خارج البلاج ، أو قد لا يمانع منها فى أماكن أخرى . إن بعض المصايف تحرر الإنسان من الملبس المتزمت الرسمى الذى لا يقبله المجتمع فى أماكن أخرى .

بل إن لكل إنسان إحساسه الشخصى من داخل العُرف ، ونظام المجتمع . ففى مجتمع ما ، تحس الفتاة براحة كاملة أن تلبس البلوزة والبنطلون ، ولا ترى غضاضة فى ذلك ، بينما ترفض فتاة أخرى هذا الملبس . فإن الاختيار الشخصى يلعب دوره ، من خلال ما تعارف المجتمع عليه ، أو ما نشأ الفرد وتعود عليه .

إن غلاء الملابس ، ليس دائما المقياس ، وإن كان أحيانا يلعب دوره . فإن المرأة قد تلبس ملابس أسعارها عادية ، لكنها تعبر عن تذوق راق . إن نظافة الملبس ، ونظافة الشخص ، ومناسبة الملابس مع جسمه ، مطابقة الألوان مع بعضها كل هذه معا تكون شخصية الفرد أو تعبر عن شخصيته .

يتحدث الكثيرون عن الملابس الفاخرة . الواقع أن الناس يلبسون ملابس متنوعة حسب المناسبات ، فمنها ملابس العمل ، وملابس الرحلات ، وملابس البحر ، وملابس الحفلات أو السهرات . إن الملابس ليست هى دائما سر الجاذبية . فهناك أحيانا جاذبية فى الملابس البسيطة أكثر من الملابس المعقدة . وأحيانا نجد شخص جاذبية من طرف آخر ، رغم أن الطرف الآخر بملابس الجينز ، ومظهر الرحلات البسيط . كما أن هناك صراعا فى نفس الإنسان ، بين الملابس التى يستريح فيها ، والملابس التى تعجب الغير . جرى العرف ، فى بلادنا ، أن يلبس الإنسان « ما يعجب الغير » . وإن كان هذا ليس دائما هو المناسب . إن سيدة ، ثقيلة الجسم ، قد تلبس البنطلون لأنه مريح لها ، ولا تعتبر رأى الآخرين ذا اهمية كبرى . كلما نضج الإنسان ، كلما أعطى توازنا ، بين ما يريحه هو ، وبين ما يقبله الغير .

أما الاسراف فى الملابس والزينة ، فوق طاقة الإنسان ، فهو شيء غير مستحب . لا بد للإنسان أن يظهر قدر ما هو يعيش ، وبذلك يكون مظهر الإنسان متساويا مع حقيقته . إن الإسراف فى الملبس والزينة له أسبابه السيكلوجية التى لا مجال للدخول فيها وشرحها هنا ، لكن الاعتدال هو أساس التوازن ، الذى ينبع من شخصية متعادلة .

كما أن للروائح العطرية دورها ، فى إحساس الإنسان براحته النفسية . وهناك أنواع من الروائح العطرية للمرأة وأخرى للرجل . والروائح العطرية الى

جانب دورها العطرى ، فهى تغطى على رائحة الجسم العادية ، وخاصة العرق فإن العرق عند بعض الناس قوى الرائحة جدا ، ويلزم تخفيفه .

الملابس « الحشمة » ، وهى الملابس التى يقبلها مجتمع ما ، ويرضى عنها . ولما كانت المجتمعات ، داخل البيئة الواحدة ، مختلطة ومتداخلة ، فإن « قيم » الحشمة تكون أحيانا مصنفة داخل ذات البيئة . ولما كانت الكنيسة تضم أشخاصا من بيئات مصنفة ، فإن قيم الحشمة تكون مرات متنوعة داخل الجماعة الواحدة .

يدخل فى مظهر المرأة – دون شك – زينتها . وقد كثر الكلام عن زينة المرأة ، والأنواع التى تستخدمها خاصة فى وجهها . وإن كان الكلام قليلا عن تصفيف الشعر ، فقد قبله المجتمع بصفة عامة ، كما أنه لا يوجد كلام يذكر على الكعب العالى ، الذى أصبح من الطبيعى ان تستخدمه المرأة .

إننا نستمع – بين الحين والآخر – عن انتقادات فى ذات المجتمع الواحد . فمن قائل أن زينة المرأة « حلال أو حرام » . كما أن الأمر يتصل بالحديث عن أظافر المرأة وطولها : هل هى تصرف لائق أم لا . نستمع إلى ذلك فى مجتمعات الجامعة أو المجتمعات الاسرية أو الكنيسة ، الى غير ذلك .

إن الحقيقة الواقعة هى أن هناك مدرستين فكريتين فى بلادنا : مدرسة « ريفية » أو « مدينية » ، أى أنها ترتبط بمجتمع المدينة . التراث الريفى ، يحارب مظاهر معينة ، ولا يمنع غيرها ، ومجتمع المدينة يقبل مظاهر أكثر من مجتمع الريفى . وكلاهما أسلوب حضارى . فحضارة الريف لها مفاهيمها ، وحضارة المدينة لها أساليبها ، يدخل إلى جانب ذلك مدرسة مختلطة بين المفهوم الريفى والمفهوم المدينى .

إن الكارثة الكبرى لمجتمعنا ، أنه يحول المفاهيم الاجتماعية ، إلى قيم « دينية » . فما يرفضه المجتمع الريفى ، يعتبره حراما ، وغير متناسب مع الدين . هذا اللون من التفكير خطر على الدين ، لأنه يربط بين « القيم » الاجتماعية مع « القيم » الدينية ، بطريقة لا تتفق مع الدين ، أو بطريقة تقلل من قدر الدين وتحوله إلى مظهرية سطحية ، فى الوقت الذى فيه يلزم أن يبقى الدين ، إيمانا عميقا ، يعبر عن سلوك الفرد ، وقيمته الاخلاقية ، لا عن مظاهره وملبسه وزينته .

من هذا كان حديث البعض عن « الحشمة » أنها قيمة دينية ، وهى ليست كذلك . إنها قيمة اجتماعية ترتبط بحضارة المجتمع ، ورضا المجتمع .

وقد استخدمنا التعبير عن قيم « الريف » وقيم « المدينة » ، باعتبارها الظاهرة الحالية . رغم أننا إن عدنا الى المظاهر المعتدلة فى المجتمع المصرى ، فى عصر الفراعنة ، نجد أن الزينة لون عادى من حياة المرأة والرجل ، ومظهر مقبول فى المجتمع . فإن مجرد دراسة للآثار المصرية القديمة ، ترينا مستوى رائعاً للجمال المصرى ، واستخدام وسائل الزينة بألوانها الباهرة .

كما أن هذا التحليل ، بين الريف والمدنية ، لا ينطبق على مجتمعات عديدة فى دول عديدة . فلكل مجتمع مواصفات معينة بين ما يقبله المجتمع المعاصر وما لم يقبله مجتمع أوائل القرن العشرين ، أو مجتمع القرن التاسع عشر ، إلى غير ذلك من جوانب التحليل والمقارنة .

هناك قيم دينية فى المصاف الأول للقيم ، بينما تقلل من قدر قيم دينية أخرى . ومن القيم الدينية للإيمان ، التى أهملها الكثيرون ، خلق الانسان على صورة الله . فإن الإنسان ليس كمية مهملة ، وكل ما يعمل على تمجيد الإنسان ، وإعطائه ذاتيته المحترمة وكيانه الممتاز يثبت عقيدة الخلق .

لهذا فإن « اللياقة » فى الملبس والمظهر ، بكل متطلباتها ، عنصر يعاون الإنسان على احترام ذاته ، كما يعاون الغير على احترامه وبالتالى ، فإنه — يعاون — على أن يكون الإنسان ذاتا كريمة ، كما خلقه الله . هذا الى جانب إحساس الإنسان براحته النفسية ، ورضاه على نفسه ، وتمتعه باحترام الذات ، واحترام الغير له . وكلها قيم غالية وهامة للإنسان ، لا يمكن التهاون فيها ، أو التنازل عنها .

الجاذبيـــــة

ان المظهر اللائق جذاب . وقد جرى العرف أن نتحدث عن جاذبية المرأة ، لكننا — ونحن نتحدث علميا وواقعيا — لا يجوز لنا أن ننسى جاذبية الرجل .

إن اللياقة تبرز مفاتن الجسم ، سواء للرجل أو للمرأة . ولا ينكر أحد ، ان الله خلق الانسان جسدا . والاعتزاز بالجسد ، اعتزاز بما خلقه الله ، ورأى أنه حسن جدا ، عندما خلقه .

إلا أن الجاذبية ، لا ترتبط بالمظهر فقط . فإن شخصية الإنسان تشمل : عقله وعمله وطريقته فى التصرف وأسلوبه فى العلاقات مع الآخرين ، كلماته ومظهره هذه كلها تسير معا . إن شخصا يكون جذابا فى مظهره ، لكنه ناقص العقل ، يفقد الجاذبية .

جرى العرف فى بلادنا ، أننا نحارب الجاذبية ونعتبرها شرا . هناك شخص يجتذب الجميع إليه . بالكلمة الحلوة ، أو بالعمق فى التفكير ، أو بالتصرف الناضج أو النكتة اللطيفة ، أو بالقيام بدور ناضج ، أو بالمظهر اللائق الجذاب . كل هذه وغيرها كثير ، عوامل جاذبية .

إن الجاذبية ، صفة جماعية ، تدفع الإنسان أن يعيش وسط جماعة ترضى

عليه ، وتستريح معه ، وتقبل أن تتعامل معه . إن الإنسان بدون هذا الإحساس ، يعيش وحيدا منعزلا ، يواجه انطوائية قاسية ، ويحرم من دفء المجتمع . لا يقدر إنسان واع ناضج ، أن ينفّر الناس منه بسبب مظهره أو ملابسه . إن الجاذبية الشخصية جزءً من إحساس الإنسان السيكلوجى والإجتماعى ، يمارسها الإنسان ، رغبة منه فى أن يرضى عليه من يريد أن يتعامل معهم ، من النوعين : ذكورا أو اناثا .

لا يجوز أن نسيء فهم المعانى . ولا يجوز لنا أن نحيط الألفاظ بمفاهيم محدودة أو قاصرة ، تسيء إلى القيم . كما أنه لا يجوز لنا أن نثير حربا شعواء ضد « تعبير » دون أن ندرك أعماقه .

أما « جاذبية » المرأة ، وهى موضوع حوار طويل . فإن المرأة ، إلى جانب شخصيتها ، وعقلها ، وعواطفها ، ونضوجها ، وملابسها ، فإنها خلقت « نوعا » يختلف عن الرجل . فإن مرحلة المراهقة تميز للمرأة نموا فى جسمها (كالمراهق) ، ولكن نمو جسم المرأة يرتبط بنعومة خاصة فى جسمها وهى وليدة افرازات الهرمونات الأنثوية . ولهذا كانت حركة جسم المرأة لها جاذبية أكثر . فإن ملابس المرأة ، وزينتها تكون لها جاذبية أكبر .

ورغم ذلك ، فإننا ننسى ونتساهل ، فى أن الرجل ، له جاذبية للمرأة ، كما أن المرأة لها جاذبية للرجل . بل إن المرأة لها جاذبيتها للمرأة الأخرى والرجل له جاذبية للرجل .

من عناصر الجاذبية ، شكل الجسم ، والصوت ، وغير ذلك ، فى الرجل أو المرأة ، وهى من تكوين الجسم التى هى من خلقة الله . يضاف إليها المظاهر كالملبس ، وهى الإضافة التى يختارها الإنسان لنفسه . وكلها تعطى تأثيرات إيجابية أو سلبية ، إذ تحدد علاقة الاشخاص معا ، وإرتباط الانسان بالانسان فى

المجتمع .

ولا يجوز لنا أن ننسى أو ننكر أهمية دور الإنسان كشخصية ، فى تفكيره ، وانفعالاته وحركاته ، وطريقته فى التصرف ، ومواجهته للمشكلات ، وأسلوبه فى الحديث ، ومدى عمقه فى التفكير ، واختباراته الشخصية . كل هذه تلعب دوراً كبيراً جداً فى « جاذبية » الشخص ، رجلاً كان أو امرأة . وجاذبية هذه القيم المعنوية ، طالما تترك أثراً أعمق من المظاهر الجسمية .

إنه من خلال عناصر الجاذبية ، يختار الفتى فتاة أحلامه عند الزواج ، كما تختار الفتاة رجل المستقبل . وكما ذكرنا آنفا ، إن عناصر الشخصية الجذابة لها مشتمل واسع . أحيانا ، تتساءل فتاة : هل اختارها فلان لجمالها ؟ . قد يكون هذا صحيحا ، لكن الذى اختارها لشخصيتها : أى لنضوجها ، ولتكون شريكة عاقلة ، ولحياتها الروحية إلى غير ذلك من الدوافع ، فإن مظهر الجسم لا بد وأن يكون أحد العناصر . إن الخطأ هو فى الاختيار يكون « للجسم » فقط ، فمتى كان الاختيار شاملا جوانب الشخصية المتعددة ، ومنها الجسم ، كان الاختيار معقولا .

إن رغبة الإنسان المخلصة فى أن يكون جذابا ، هى جزء هام من تكوين الإنسان الاجتماعى ، فقد خلق الله الانسان : ذكرا وأنثى . ومنذ بدء الخليقة كان الإنسان ـ كائنا اجتماعيا ـ لا بد له من مشاركة الآخرين ومشاركة الآخرين له .

إن الرغبة الداخلية فى كل إنسان ـ ذكرا كان أو أنثى ـ أن يكون لائقا وجذابا ، هى رغبة أمينة سليمة ، تعبر عن إنسان ناضج واع مسئول ، يقدر قيمة الحياة تقديرا صحيحا ، ويقدر دوره داخل المجتمع تقديرا صائبا .

الاغــــراء

إن «الاغراء» عنصر مختلف تماما عن الجاذبية . إن «الاغراء» هو أن الشخص الذى يقوم بدور الاغراء ، يعاون الشخص الآخر الذى يغريه أن يضعف أمامه . تحدث العهد القديم عن يربعام بن نباط الذى جعل الشعب يخطىء . لقد أقام يربعام الآلهة الاصنام ، وطلب من الشعب أن يسجد لها . إن المرأة التى تعمل على أن يسقط رجل معها ، هى التى تغريه كما أن الرجل الذى يعمل على إسقاط المرأة معه فى علاقة جنسية ، يقوم بدور الإغراء .

إن مظهر اللياقة له دائما جاذبية . وليست كل جاذبية عامل إغراء . كما أن الإغراء ليس دائما من جانب المرأة ، فهو أيضاً – أحياناً – من جانب الرجل . لهذا فإنه لا يجوز اتهام كل جاذبية بأنها هى الإغراء ، كما أنه لا يجوز أن نقصر اتهام الإغراء بأنه دائماً للمرأة وحدها ، فالرجل شريك .

إن أصابع الاتهام ، التى هاجمت الزانية – التى أُمسكت فى ذات الفعل – ووجهت إليها عقوبة الرجم ، هى الأصابع التى لم تكتشف – أو لم ترد أن تكتشف – الاتهامات التى لصقت بالرجل ، حتى سجل السيد المسيح ، بأصابعه الاتهامات للرجل مسجلاً إياها على الأرض . فألقى الرجال الأحجار ، دون أن يرجموها ، وانصرفوا . ثم صرح السيد المسيح للمرأة ، أنه لا يدينها .

إلا اننا ، نرى دائما ، الصورة متميزة . فإن الزنى ، فى تعليم السيد المسيح قد يتم بالفكر ، دون ممارسة . وقد كان المسيح واضحا ، فى أنه أراد أن يوضح مفاهيم الخطأ . فالخطأ ينبع من داخل الانسان ، لا من خارجه .

كان من السهل على الرجال ، أن يصوبوا اتهاماتهم للمرأة ، بأنها موضع

إغراء . فان جسم المرأة وما له من جاذبية ، قد يدفع الرجل للسقوط فى الشهوة بالفكر . نسى الرجل أن الشهوة صفة فى المرأة ، كما هى فى الرجل . فإن المرأة أيضا قد تتطلع إلى الرجل ، لتشتهيه . ويكون الرجل بذلك فى نفس موقف المرأة .

لقد كان حديث السيد المسيح عن الرجل أن يتطلع إلى المرأة ليشتهيها ، بأنه قد زنى بها فى قلبه ، ذلك لأن الشريعة اليهودية فى عصره ، كانت تضع اللوم على المرأة ، ولا تضعها على الرجل ، وقد أراد السيد المسيح أن يوجه اللوم للرجل . وأن يتهمه هو بالزنى ، كما يتهم المرأة بالزنى ، ليقيم العدالة بين النوعين اللذين خلقهما الله : الذكر كالأنثى لا فرق .

هناك إمرأة يقع الرجل فى حبائلها ، وهناك رجل تقع المرأة فى حبائله . إن « رغبة الرجل » قد تتطلع إلى المرأة بشبهوة ، حتى وان لم تقصد هى ، أو العكس وبذلك يكون الناظر مسئولا كمن ينظر إليه .

إلا أن السؤال الذى يفرض نفسه هنا ، هو : هل تخفى المرأة وراء ستار ، لكى لا يسقط الرجل فكرياً وهل تحرم المرأة من المجتمع ، ويحرم المجتمع من المرأة لمجرد الخوف أن الرجل قد يراها ، ويعجب بها ، وقد يشتهيها ؟ وهل تمنع المرأة من الزينة حتى لا يعثر الرجل ؟ وهل تخفى المرأة وراء ملابس تغطيها من رأسها إلى قدمها حماية للرجل ؟

لقد واجه السيد المسيح هذه المشكلة . فإن المرأة اليهودية – فى عصره – كان الرجال ينادون بإخفائها ، وعدم مواجهتها للرجال فى الأماكن العامة ، حماية للرجل . وقد رفض السيد المسيح هذا الأسلوب ، وأخرج النسوة إلى المجتمع ، ودعاهن للعمل ، وللخدمة . فإن الطهارة التى تنتج عن عدم وجود

التجربة ، لا تُدعى طهارة ، كما أنه ليس من العدالة حرمان « نوع الأنثى » من الحياة ، لصالح الرجال . بل إنه من الطبيعى ، أن احتكاك الرجل والمرأة فى المجتمع ، يحول النظرة المتبادلة ، من نظرة باحثة عن المتعة الجنسية ، إلى نظرة إنسانية كريمة بناءة . لذلك ، كان أسلوب المسيحية – من بدئها – أن مجتمع الكنيسة الأولى فى علية يوحنا مرقس كان مجتمعا مختلطا .

إن « الاغراء » الشرير ، هو إرادة الشر ، سواء فى الرجل أو المرأة . إن الجاذبية الإنسانية العادية ، لا تتحول إلى إغراء ، ما لم تدخلها إرادة الشر . وقد تدخل ارادة الشر ، دون وجود المظاهر الجذابة ، أو بوجودها دون فرق .

اننا لا ننكر ، أن من يريد أن يتخذ الإغراء أسلوبا ، فهو (أو هى) يتخذ كل مظاهر اللياقة والجاذبية فى إرادة الشر . إن إرادة الشر تحول أى شيء صالح إلى شر عظيم . إن المال خير ، لكنه إن صار هدفا ، تحول إلى إله آخر . إن عطايا الله صالحة ومباركة ، ولكن إرادة الشر تحولها إلى شرور كبيرة .

إن تعليم كلمة الله ، يوجهنا إلى التدريب على ضبط النفس . فإن من يواجه شرور الحياة ، وتجاربها المتنوعة فى كافة المجالات والأنواع ، معرض للسقوط مرات كل يوم ، ما لم يضبط نفسه . وضبط النفس هو العنصر الاساسى فى الايمان . فإن الإيمان المسيحى ، يدفع الإنسان أن يضبط نفسه لكيلا يسقط فى مهاوى الرذيلة والخطية .

لا بد لنا من تقدير الأولويات ، إن الذى يعطى أولوية حياته لمظهره ، يخطىء ضد نفسه . فإن المظهر – لا يجوز أن يحتوى اولويات الإنسان – بل يأخذ مكانه العاقل من وقت الانسان وجهده وبذلك يضع الإنسان أولويته فيما هو يبنى شخصيته وفكره وحياته . كما أنه لا يجوز الإسراف والتطرف فى الزينة بطريقة غير مقبولة .

كما أنه لا بد من تقدير الالتزام الروحى . فإن من يستخدم الحرية المسيحية فرصة للجسد ، ويتهاون فى مسئوليته الروحية أمام الله ، يخطىء إلى الله ، وإلى الآخرين .

إن هذا الحوار لا يفتح المجال للإفساد ، وللانحراف ، وللإساءة . فإن الارتباط بالقيم ، يشدد الانسان ويحفظه فى حدوده الايمانية .

إن كل مؤمن مسئول أمام الله . والمقارنة التى وردت هنا عن اللياقة والجاذبية مرتبطة بحدود الإيمان ، التى لا يجوز العبث أو الاستهانة بها . وكل فرد ، وهو يمارس حريته ، يمارسها من خلال إيمانه .

حريـة المرأة

لما كانت المرأة « إنساناً » ، كان لها حريتها . وحرية المرأة مساوية لحرية الرجل . إنه لابد من إعطاء الفرص الكافية للمرأة للعمل والإنتاج ، إلى جانب التفكير وإبداء الرأى .

للفتاة أن تبدى رأيها فى اختيار شريك حياتها ، كما أن له أن يبدى رأيه كذلك . لها أن تختار نوع الحياة التى تعيشها ، ونوع العمل الذى تعمله .

إن الفتاة – كالرجل – تحتاج للمشاركة الفكرية ، وإقامة الحوار مع أفراد الأسرة ، وإبدأ الرأى ، دون الاساءة اليها ، لتحس بكرامتها الإنسانية ، وبذاتيتها الشخصية . لها أن تستمع إلى النصيحة ، أن تبدى رأيها . بل إنه ليس من الصواب ، أنها تتغاضى عن المشاركة الفكرية ، والاستماع الى النصيحة .

ان المشاركة الحرة للأنثى للحياة بكل ألوانها ، تعاونها على التفاعل الخلاق

الإيجابى مع المجتمع ، ومع الكنيسة . وبذلك تسهم إسهاما إيجابيا فعالا مع كل المجتمع .

للمرأة ان تحمى نفسها
لا ان تكون تحت حماية الرجل

ظهر عبر التاريخ العبرى ، إتهام المرأة بعدم قدرتها على مواجهة التجارب تجاه الشهوة ، فظهر فى الدعوة لإخفائها عن الانظار ، حتى لا تسقط هى ولا يسقط الرجل . ولعل قول السيد المسيح : « من نظر إلى امرأة ليشتهيها ، فقد زنى بها فى قلبه (متى ٥ : ٢٨) » . كان يوجه اللوم للرجل لا للمرأة . فلماذا تسمح للرجل بما يشاء ، ولا تسمح به للمرأة ؟ إن الرجل ، متى أخطأ فهو مسئول عن خطئه . كما أن المرأة قادرة على حماية نفسها ، ومواجهة التجارب ، إنها لا تنتظر حماية الرجل لها لئلا تسقط .

لم يقبل السيد المسيح الاتجاه اليهودى السائد ، بأن النساء تجربة اغراء للرجال ، لذلك ينبغى إخفائهن . ولذلك ، أعطى السيد المسيح المرأة مكانتها فى المجتمع ، ودعاها للمشاركة فى الحياة والعبادة والخدمة والتعليم ، دون تحديد . وكان رأى السيد المسيح هو أن ممارسة ضبط النفس من الرجال والنساء على حد سواء ، هو الحل المسيحى الحقيقى . إن المحاولة ، التى تنبع من الإيمان ، هى محاولة تطهير القلب ، لا إخفاء النساء عن الأعين .

ورغم الاتجاه السائد بسرعة الشك فى المرأة ، فإن التجارب دلت على قوة المرأة فى الحفاظ على القيم . فإن المرأة لحوزتها على نفسها ، ولأن السقوط بالنسبة لها قد يترك مؤشرا يكشف خطئها فهى حريصة على ذلك ، أكثر من الرجل .

ختـــان الأنثى

وهذا ، يدفعنا لأن نتحدث عن ختان الأنثى . تحدث العهد القديم عن ختان « الذكر » .

لم يرد شيء عن ختان الأنثى فى العهد القديم . ويتضح لنا من سفر أعمال الرسل (١٥ : ١) ، أن مجمع أورشليم ، وهو المجمع الأول فى حياة الكنيسة ، أنه حتى ختان الذكر لم يصبح فى المسيحية علامة ، كما كان فى العهد القديم . ولذلك فمن الواضح ، أن الختان لا يرتبط بالمسيحية .

يرجح البعض أن ختان الأنثى بدأ فى مصر الفرعونية منذ عام ١٣٥٠ ق . م . يرجح البعض الآخر إنه جاء إلى مصر من دول إفريقيا . ويظن كثيرون أن الختان بدأ أساسا قبل الإسلام والمسيحية .

ظن البعض أن الختان يقلل من شهوة الأنثى ، ويعاونها على الطهارة ، إن الربط بين الختان والعفة إنكار لقدرة المرأة على ضبط النفس ، وهذا تصرف يتعارض مع إنسان ، خلقه الله على صورته . بل إن قطع عضو حى من جسم المرأة يعتبر جريمة فى حقها . هذا فضلا عن المخاطر التى تحدث نتيجة الختان من آثار نفسية سيئة واضرار صحية نتيجة الممارسة ذاتها ، إلى جانب التأثير على إنقاص متعة الأنثى عند الممارسة الجنسية فى الزواج .

صدر قرار وزارى مصرى رقم ٧٤ لسنة ١٩٥٩ ، فى ٢٤ يونيو ١٩٥٩ يحرم ختان الإناث ، وتدل العشر السنوات الأخيرة على نقص كبير من عدد حالات ختان الأنثى . مما يعبر عن اتجاه صحى سليم فى المجتمع المصرى .

لقد تطرقنا لدراسة « ختان الأنثى » ، لأنه كان فى أساسه وسيلة سيادة

الرجل على المرأة ، أو رغبة الرجل فى حماية المرأة من الانحراف . أعود إلى القول إن المرأة كائن بشرى ، له حق دفاعه عن نفسه ، وحريته فى التعبير عن ذاته ، واختيار ما يريد من عمل ، أو طريق حياة . إن أعطينا المرأة حريتها ، زادت ثقتها فى نفسها ، وزادت قدرتها نتيجة الخبرة والممارسة والتعلم ، وأخذت مكانتها الصحيحة فى المجتمع .

إن حرية المرأة ، لا تساعد على نشر الفساد ، كما يظن البعض . فإن « كل واحد سيحمل حمل نفسه (غلاطية ٦ : ٥) » .

المرأة فى العبادة والخدمة الكنسية

بعد أن استعرضنا فكر الرسول بولس ، كما استعرضنا الوضع بالكنيسة الأولى ، كنيسة العهد الجديد ، نشهد روعة تطور الفكرة عن دور المرأة فى الكنيسة والمجتمع . لقد أقام السيد المسيح ، ثورة اجتماعية ، لتسترد المرأة مكانتها ، التى خلقها الله عليها منذ بدء التاريخ ، لتكون إنسانة ، لها كافة الحقوق كالرجل ولها نفس القيمة والذاتية ، كمن أحبها الله ، ومات السيد المسيح لأجلها .

منذ أن انشق حجاب الهيكل ، لم يبق فى الدار الخارجية أحد . لقد صار للرجل والمرأة على حد سواء ، حق الاجتراء ، بالدخول إلى قدس الأقداس ، والامتثال أمام عرش النعمة بلا فرق .

بل إن كتابة العهد الجديد ، والتى تمت خلال القرن الأول الميلادى كانت كلها سجلا هاما عن أحداث حياة السيد المسيح ، واتباعه ، فى إنشاء الأسس الأولى للكنيسة .

لقد سجل متى الإنجيلى فى الفصل الأول من إنجيله نسب المسيح ، ولم ينس أن يسجل أسماء بعض النساء . فإنه إلى جانب أن النساء ، يقمن صحة نسل المسيح منسوبا إلى داود الملك ، إلا أن النسوة كن عنصراً هاماً فى سلسلة النسب .

وقد سجل الإنجيليون دور النساء كشهود للدفن ، فقد رافقن الجسد إلى القبر (متى ٢٧ : ٦١) ، وفى فجر القيامة أعددن الحنوط (لوقا ٢٣ : ٥٦) ، وكن أول شهود لقيامة المسيح من بين الأموات (متى ٢٨ : ١) .

وعندما حل الروح القدس ، كان حلوله على المرأة والرجل بقدر متساو ، وكان عطاء الروح القدس للرجل والمرأة بقدر متساو .

إنه لافرق بين ذكر وأنثى فى المسيح يسوع ، فالقيم الروحية متساوية ومتطلبات الخدمة متساوية . ومواهب الروح القدس للنساء والرجال ، على قدر متساو (١ كورنثوس ١٢ – ١٤ ، إفسس ٤ : ٧ – ١٦ ، بطرس الأولى ٤ : ١١ ، رومية ١٢ : ١ – ٨) . وطلب الرسول أن « كل واحد بحسب ما أخذ موهبة ، يخدم بها بعضكم بعضا كوكلاء صالحين ، على نعمة الله المتنوعة (بطرس الأولى ٤ : ١١) » .

خاتمـــة

الرجل والمرأه ـ معا على الطريق

خلق الله آدم ثم حواء ، وحملهما معا مسئولية إدارة الخليقة ، والإنتاج منها ، وهما يعيشان على أرضها .

ورغم أننـا تعرضنـا فى هذا الكتـاب إلى دراسـة شاملـة عن حيـاة المـرآه ، ودورها فى الكنيسة والمجتمع ، إلا أننا لم نقصد ، أن نميز بين الرجل المرأة فهما يمثلان خليقة الله .

إننا نرجو أن هذه الدراسة ، تعاون الرجل على زيادة فهمه . لنوع المرأة « كما تعاون المرأة على إدراك دورها كتابيا وعلميا . وبذلك يقف الأثنان مسئولَيْنْ أمام الله ، وأمام المجتمع ، يقومان بدورهما المسئول .

إننا نرجو أن يعاون هذا الكتاب ، على زيادة تماسك المجتمع « الرجل والمرأة » معا ، على اسس من الفهم العلمى والكتابى الصحيح ، وعلى زيادة الارتباط الأسرى ، وعلى تنشئة الجيل المقبل من فتيان وفتيات على أسس سليمة ناضجة مسئولة ، من احترام الذات ، وحمل المسئولية ، والإسهام الإيجابى فى خدمة الله والوطن .

البيبلوجرافيــــا

بحث أوضاع المرأة المصرية واحتياجاتها . وزارة الشئون الاجتماعية . اللجنة القومية للمرأة ، ١٩٨٢ .

جمعية تنظيم الأسرة بالقاهرة . **حقائق علمية حول ختان الاناث** . القاهرة مارس ١٩٨٣ .

الجمعية المصرية للدراسات النفسية . **الكتاب السنوى « ١٩٧٦ »** الهيئة المصرية العامة للكتاب ، ١٩٨٠ .

زكريا ابراهيم ، دكتور . **سيكولوجية المرأة** . من سلسلة الثقافة السيكولوجية . مكتبة مصر .

سمير عبده . **المرأة العربية بين التخلف والتحرر** . بيروت : منشورات دار الأفاق المتحدة ، ١٩٨٠ .

سهير كامل أحمد ، دكتور ، سلوى محمد عبد الباقى — **دراسات اكلينيكية متعمقة للبناء النفسى للمرأة باستخدام التداعيات الاسقاطية « دراسة غير حضارية »** . الانجلو ، ١٩٨٥ .

عايدة فهمى . **المرأة والعمل فى مصر والبلاد العربية** . من مجلة المنارة باريس : مارس ١٩٨٦ .

عبد الله شحاتة ، دكتور . **المرأة فى الاسلام بين الماضى والحاضر** . القاهرة : الهيئة العامة للكتاب .

عبد الناظر محمد عبد المعطى ، دكتور . **الوضع الاجتماعى للمرأة القروية المصرية**
تحليل تاريخى معاصر .مقال فى المجلة الاجتماعية القومية تصدر عن المركز القومى للبحوث سبتمبر ١٩٧٥ .

عبد المتعال محمد الجبرى . **المرأة فى التصور الاسلامى** . القاهرة : مكتبة وهبه ، ١٩٧٨ .

فرج احمد فرج ، دكتور . **علم النفس وقضايا المرأة** . مقال فى المجلة الاجتماعية للبحوث القومية تصدر عن المركز القومى للبحوث الاجتماعية . سبتمبر ١٩٧٥ .

فريد حداد . **شموسية النساء فى تراث الكنيسة الشرقية** . مجلس كنائس الشرق الأوسط ، ١٩٧٩ .

لجنة الأسرة ، بطريركية الاقباط الارثوذكس . **ختان البنت** . من سلسلة رعاية الفتاة تحرير هيدى بانوب .

لجنة بحث شئون الدراسات والموظفات . **بحث وعلاج مشكلات المرأة الموظفة** . مكتب المستشار الفنى وزارة التربية والتعليم ، مارس ١٩٥٩ .

لطيفة محمد سالم ، دكتور . **المرأة المصرية والتغيير الاجتماعى (١٩١٩ - ١٩٤٥)** .
من سلسلة مصر النهضة باشراف دكتور يونان لبيب رزق . مركز وثائق تاريخ مصر المعاصر ، ١٩٨٤ .

مارى بونابرت . **سيكولوجية المرأة** . ترجمة الدكتور صلاح ميخمر ، عبده ميخائيل رزق . الانجلو ، ١٩٦٩ .

متى المسكين ، الاب . **المرأة حقوقها وواجباتها فى الحياة الاجتماعية والدينية فى الكنيسة الاولى** . دير القديس مقار .

محمد عمارة ، دكتور . **قاسم أمين وتحرير المرأة** . كتاب الهلال ، ١٩٨٠ .

المرأة فى الكنيسة والمجتمع فى الشرق الأوسط . مجلس كنائس الشرق الأوسط ، ١٩٧٩ .

يحيى الرخاوى - دكتور . **نظرة سوسيولوجية : تحرير المرأة وتطور الانسان** . مقال فى المجلة الاجتماعية التى تصدر عن المركز القومى للبحوث ، سبتمبر ١٩٨٥ .

Bibliography

Dumas, Fancive. **Man & Women Similarity and Difference.** Geneva: WCC, 1966.

Elliot, Elisabeth. **Let Me Be A Woman.** London: Hodder & Stoughton, 1979.

Harkness, Georgia. **Women In the Church and the Society.** N. Y.: Abingdon, 1972.

Herzel, Susamah. **A Voice for Women.** Geneva: WCC.

Hosie, Lady **Jesus and Women.** London: Hodder & Stoughton, 1947.

Hurley, James B. **Man and Woman in Biblical Perspective.** Grand Rapids. Zondervan, 1982.

Parvey, Constance F. Editor, **The Community of Women and Men in the Church.** The Sheffield Report. Geneva: WCC, 1983.

Population Profiles 7. Women, Population and Development. UN Fund For Population Activities.

Russell, Letty M. **Human Liberation in a Feminine Perspective.** A Working Paper for the New York Force on Women in a Charging Institution.

Rysie, Charles Caldwell. **The Role of Women in the Church.** Chicago: Moody Press, 1970.

Studies No. 4. **The Deaconess.** Geneva: WCC, 1966.

Study Encounter Vol V111 No. 1. 1972.

The Christian Woman Co-artisan in Changing Society. Report of The Woman's International Ecumenical Conference. France: Taye, 19-24 June 1967.

Ward, Patricia and Martha Stout. **Christian Women Work.** Grand Rapids: Zondervan, 1981.

World Council of Churches. **By Our Lives.** Geneva: WCC, 1985.



دكتور القس صموئيل حبيب

- بكالوريوس فى العلوم اللاهوتية عام (١٩٥٠)
- دكتوراه فى اللاهوت من سان فرانسيسكو عام (١٩٨٣)
- رئيس الطائفة الإنجيلية فى مصر منذ عام١٩٨٠
- مؤسس ومدير عام الهيئة القبطية الإنجيلية للخدمات الاجتماعية
- يعمل أستاذاً بكلية اللاهوت
- نائب رئيس الاتحاد العالمى للكنائس المشيخية ثم عضو اللجنة التنفيذية (١٩٧٧ - ١٩٨٩)
- ألّف وترجم أكثر من ٦٠ كتاباً





